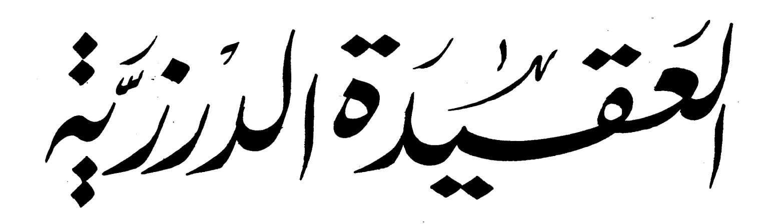
سلسلة «الأديان السرية» (١)

أنور ياسين



١٣ آب ١٩٨٥

ذكرى مرور ألف سنة على "ظهور" الله في شخص الحاكم بأمر الله، و"وجود" العقل الكلي في شخص حمزة بن علي، قائم الزمان، وهادي المستجيبين.

صدر في « سلسلة الاديان السرّية »

١ ـ العقيدة الدرزية	١٩٨٥
٢ ـ التعليم الديني الدرزي	١٩٨٥
٣ ـ النبي محمد في العقيدة الدرزية	١٩٨٥
٤ ـ العجل والشيصبان في العقيدة الدرزية	١٩٨٥
٥ ـ المعجم الدرزي	١٩٨٥

مقدمة

أيجوز للانسان ان يبحث ويتقصى فيفضّ اسرار الكون ، وان يتشامخ ويعلو فيلج الفضاء الخارجي وتدوس قدماه سطح القمر فيتعرّف خفاياه ، ثم يستمرّ عاجزا عن سبر مكنونات ومعتقدات شبيهه على الارض ، لا سيّما اذا كان هذا الشبيه هو المواطن الذي نلتقيه صباح مساء ، ونتعامل واياه في شتّى ميادين الحياة .

كنّا لا نزال صغارا ندلف الى المدرسة ، والى جانبنا على مقاعد الصف ، ومعنا في ساحة المدرسة ، رفاق من القرى الدرزية المجاورة ... ومنذ ذلك الزمان تعقد في اذهاننا علامات استفهام وتكرّ على السنتنا اسئلة حول الدروز وديانتهم ومعتقداتهم ... ولا من جواب ...

ومع الكبر ، راحت الاسئلة والتساؤلات تكبر ، وتحزّ الحشرية في القلوب ، والانسان بفطرته مسوق الى اقتحام الابواب الموصدة على الاسرار ، فكان الجهد ، وكان التنقيب ، وكان اكتشاف حقيقة الدرزية .

ان « التقية » — اعني التستّر على المعتقد ، واعلان عكس ما ينطوي عليه الوجدان — التقية التي أخذ بها الدروز سنّة ملازمة لدينهم ، حالت دون كشف حقيقة المعتقدات الدينية الدرزية ، ليس بالنسبة الى ابناء

الاديان الاخرى فحسب ، بل بالنسبة الى الغالبية العظمى من الدروز الموحّدين انفسهم .

ما يحفزنا الى وضع هذا المؤلف ، هدف مزدوج : انفتاح على مواطنين قدّر لنا ولهم ان نتلاقى بل ونتآخى في مجالات ثقافية ووطنية واقتصادية وسياسية واجتماعية ... ثم توق الى المعرفة ، وهذا — لعمري — خلّة جذّرها الله في اعماق الانسان .

ربّ معترض يحتجّ قائلا بان التلاقي والتعامل لا يفترضان حتما معرفة الآخر معرفة شاملة وسبر وجدانه والغوص على ما يكتنه قلبه .

ان هذا الاحتجاج لا يبرره سوى القبول بالظاهر دون الباطن ، باللسان دون القلب ، بالرياء دون المصارحة ... فاذا امتنع الدين عن ان يكون انفتاحا وتعاملا وصدقا وتحقيقا عمليا خالصا لما نطقت به الآيات وما ورد على ألسنة الرسل والانبياء ، فما الدين اذن ؟

على هذا الاساس نقصد الانسان بكليته ، ايا كان انتماؤه ، وايا كان معتقده ... بل ، وان عاش رافضا لاي انتماء ديني ... ان لمن الضرورة توحيد الانسان في ذاته ، اي ان يجهر بما ينوي ، ان يظهر ما يبطن ، وان يقوم بما يعتقده خيرا للآخرين ...

هذا يفضي الى نتيجتين : الاولى على المستوى الفردي وهي مصالحة الانسان مع ذاته ، والاخرى على المستوى الجماعي اعني الترابط والتآخي على صعيد المجتمع والوطن بل والانسانية ....

لكل عاقل الحق ، كل الحق ، في ان يخفي سرّا وألاّ يعلن على الملأ بعض ما في جنانه ، وهذه خاصة يمتاز بها الانسان وحده دون الحيوان

الذي لا يملك عقلا يمكّنه من ستر ما تجرّه اليه الغريزة . يدخل هذا الامر في نطاق الخصوصيات التي هي حق مقدس للانسان يرتبط مباشرة بحريته ودائرة تحرّكه . بيد ان الامر يختلف عندما يخرج من اطار الخصوصيات الى شؤون عامة تناط بها مصلحة الجماعة وصلاحها ونموها وتطورها .

لا بأس اذن ، بل نرى من الضرورة ، التعرف الى طائفة من المجموعات الطائفية في لبنان ، اغلق علينا معتقدها رغم روابط بيننا وبينها على مدى مئات السنين .

ولا يظنّنّ احد ان في نيتنا اساءة الى ايّ كان ، فردا ام جماعة ، بل العكس هو الصحيح . ان طريق المعرفة تؤدي الى شدّ الاواصر والى التفاهم والترابط ... انها طريق المحبة ... هذا ما نتوخاه من خلال ما نكتب ، وهذا وحده يحدونا — لا الى امتشاق السلاح — بل الى امتشاق القلم .

ليدرك كل منا حقيقة ذاته ، حقيقة انتمائه ، حقيقة جاره ... وفي النهاية ، لا بد من ان تتوحد « الحقائق » فتنصهر في حقيقة واحدة ، حقيقة الانسان في صفائه ، الانسان المتحرر من اوهام واباطيل ، من تقوقع وانانية ، من تمذهب وعصبية ...

في حساب الاخلاق والتعامل بين الافراد وبين المجتمعات يسقط التجزّؤ وتُلغى « النصفيّة » . لا يمكنك ان تكون نصف صادق ، او نصف عادل او نصف محبّ ... فاما صدق تام او عكسه ، اما عدل تام او عكسه ، اما حب كامل او عكسه ...

فاذا كنت تظنّني غيرَ مؤهل لاكون شريكا لك في السر الذي تطويه في صدرك وانت تعدّه من مقدّساتك ، أَمِن الممكن ان توليني الثقة فأكون

جديرا بمشاركتك في المواطنية ؟

يقيني ، ان فكرا غير قابل لاي لقاح ، يعيش عقيما ، وبالتالي معرّضا للهزال فالانحلال . وان معتقدا نخاف عليه من النور ، لا بد من ان يتولاّه الذبول والاهتراء .

الانفتاح النيّر هو وحده كفيل باخصاب وانماء ما هو اهل بالبقاء ، والقضاء على ما علق من زيف وشوائب .

ان الاخذ بالباطنية او التقية ، ثم اعتناقها على انها عقيدة من صلب الايمان الديني ، ادّى الى عواقب وخيمة على جبهتين : على الفئة المضطهِدة (بكسر الهاء) التي فرضتها بفعل ممارسات القتل والتنكيل ، وعلى الفئة المضطَهدة (بفتح الهاء) التي اكرهت عليها لتسلم من الاذى والاضمحلال . فالاسباب التي دعت في الماضي ، الى ممارسة التقية قد زالت اليوم ، وينبغي ان تكون الحرية الدينية في رأس الحريات التي يتمتع بها الانسان المعاصر والمجتمعات المعاصرة ، بل ان فقدانها ، لا بدّ من ان يقلقل ويزعزع الحريات الاخرى على مختلف الصعد ، فكريا ، وسياسيا ، واجتماعيا ... من هذا المنطلق ، يتجذّر الدين عمقا في القلب الى ما لا حدود ، وينبسط امتدادا رسوليا فلا يمنع عن ايّ ظامئ يودّ الارتشاف من ينابيعه .

ان الجذور في حكم الاختناق اذا لم تنفلت الى النور اخضرارا وزهرا واثمارا ، كما ان هذه في حكم الذبول والاندثار اذا لم توفر لها الجذور الغذاء والمائية .

اضافة الى ما سبق ، انّ عملنا في ذاته لا يناقض جوهر « الحكمة » بل

انه ينبع من صميم تعاليمها . ان اول خصلة واعظمها بين خصال الحكمة التوحيدية السبع هي الصدق : « فمن كان يزعم انه مؤمن موحّد ... ولا يكون سادقا ... كان مدّعي التوحيد مستعمل الشرك والتلحيد ... ومن لم يكن سادقا بلسانه فهو بالقلب اكثر نفاقا ... واعلموا ان السدق هو التوحيد بكماله ، والكذب هو الشرك والضلالة ... »[١] .

كما انّ من شأن الحكمة ان تلج كل الصدور وتعمّ الجميع فلا تعطى الى اناس وتمنع عن آخرين ، بل ان تفتح باب الخلاص امام كل الساعين اليه . ان التخصيص والفرز والطبقية ، كلها مرفوضة في هذا المجال كونها تعني التفرقة واللامساواة والظلم .

على هذا ، نقدم على العمل وكلّنا ايمان بجدواه البالغة ... من حقّ الانسان ان يعرف وان يختار وان يحقّق ما اقتنع به ، ولا سيّما اذا كانت هذه المعرفة وهذا الاقتناع مرتبطين بالآخرة والمصير .

سلمت اليد التي تنير سراجا ، وبوركت العين التي تتلهّف الى مسارح النور .

ولن ندع فرصة مرور الف سنة على « وجود » الحاكم وحمزة دون الولوج بسرّ عاش طيلة هذه المدّة ، ونحن نسأل ونتساءل ونبحث وندور على خباياه . حظنا منه المعرفة وليس غير المعرفة . وقصدنا بعد المعرفة المحبة والمشاركة والتعاون وبناء المجتمع ...

---

(١) الرسائل ٤١ الموسومة بالوصايا العشر ص ٣١١ — ٣١٢ . الصدق ومشتقاته عند الدروز تكتب بحرف السين ، وذلك لسبب نذكره فيما بعد .



تمهيد

الدولة الفاطمية قبل عصر الحاكم

قبل ان نستعرض تاريخ الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، يجدر بنا ان نلقي نظرة عجلى على نشأة الدولة الفاطمية والعهود التي مرّت بها قبل وصول الحاكم الى السلطة .

لقد تركزت الدولة الفاطمية بادئ الامر في تونس سنة ٩٠٩م بفضل سعيد بن حسين الذي نسب نفسه الى علي بن ابي طالب .

غادر سعيد سلمية في سوريا وانتقل بزيّ تاجر الى شمالي افريقيا فقوّض دولة الاغالبة ونودي به اميرا ولقب بالامام عُبيد الله المهديّ وتقبّله الناس على انه من ذريّة فاطمة من نسل الحسين . غير ان بعض المؤرخين شكوا بصحة نسبه هذا او انكروه عليه .

نزل عبيد الله في ضاحية القيروان وثبّت حكمه ولم يلبث ان بسط نفوذه على مجمل الاراضي الافريقية الممتدة من مراكش حتى تخوم مصر . وفي عام ٩١٤ احتل الاسكندرية وانزل الدمار بأرض الدلتا .

اكمل خلفاء عبيد الله خطته في التوسّع فأغار ابنه ابو القاسم محمد القائم على ساحل فرنسا . وفي عهد ابي معدّ المعزّ حفيد القائم عظم شأن الاسطول المصري فغزا في سنة ٩٥٥م سواحل اسبانيا . وفي عام ٩٦٩ اطاح

الفاطميون بالحكم الاخشيدي في مصر . وكان بطل هذه الحملات الاخيرة جوهر الصقلي الرومي الذي يعود اليه الفضل في تخطيط مدينة القاهرة التي اصبحت عاصمة الفاطميين سنة ٩٧٣ .

وفي سنة ٩٧٥ وصل الى الحكم الخليفة الفاطمي الخامس ابو منصور نزار العزيز . في عهده بلغت سلطة الفاطميين ذروتها وخطب له في جميع الاقطار الواقعة ما بين المحيط الاطلسي والبحر الاحمر وفي اليمن ومكة ودمشق . ولقد فاقت خلافته خلافة بغداد أبّهة وقوة . عاش العزيز حياة بذخ وترف فابتنى في القاهرة وضواحيها عددا من الجوامع والقصور والجسور والاقنية . بيد انه وقع في الخطأ الذي وقع فيه العباسيون قبله اذ اعتمد على العساكر التركية والمرتزقة من الزنج ادّى الى ضعف الحكم وانحلاله . وهكذا اخذ صرح الخلافة يتداعى بعد ملك العزيز بمدة وجيزة .

في سنة ٩٩٦ انتقلت الخلافة الى ابي علي منصور الحاكم وكان لا يزال في الحادية عشرة من عمره .

الفصل الاول

تاريخ الحاكم ونشأة الدرزيّة

اولاً — مصادر التاريخ

ان عصر الحاكم بامر الله هو « اغرب عصر في تاريخ مصر الاسلامية وربما كان اغرب عصر في تاريخ الاسلام كله ، عصر يمازجه الخفاء والروع وتطبعه ألوان من الاغراق والتناقض[٢] » ان المؤرخين أنفسهم ، على كثرتهم ، غاضوا في غموضه وطرافته .

وكان اول المؤرخين يحيى بن سعيد الانطاكي ، وهو شاهد عيان ، دوّن الاخبار والاحداث . لقد انتهى في تاريخه سنة ٤٢٥ هـ ١٠٣٣ م وهو يعرض عصر الحاكم بدقة متناهية سنة فسنة . وكان الانطاكي مصدرا للذين اتوا بعده ؛ علماً بانّ الانطاكي اعتمد كثيراً على مَن سبقه ، واستفاد منهم .

امّا ما يفوق الكل أهمية ، فهي الرسائل التي كتبها « إمام الزمان » حمزة بن علي بن احمد ، نبيّ الدروز[٣] ، وفيها الشيء الكثير عن الحاكم وتصرفاته ...

---

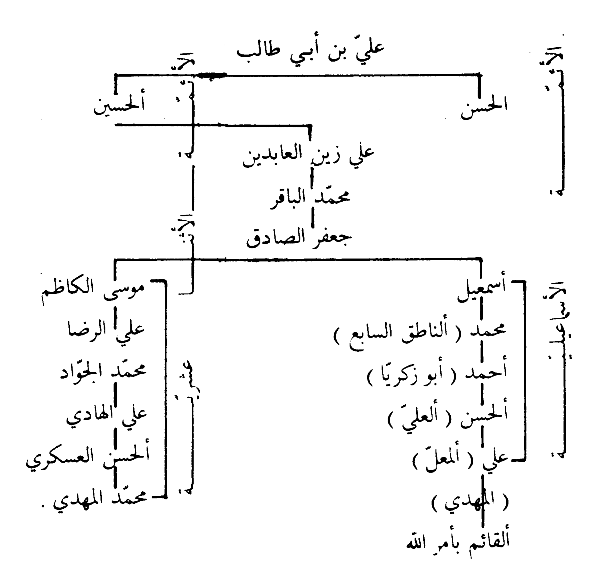
(٢) محمد عنان . الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية ص ١٠٤ .

(٣) سيأتي الكلام عليه في فصل لاحق .

وهناك الكثير من المراجع التي تؤكد لنا اهتمام المؤرخين بعصر الحاكم [٤]

ثانياً — نسبة الحاكم

ينتسب الحاكم بامر الله . الخليفة والامام الفاطمي السادس — او الخامس بنظر الدروز — الى البيت العلوي . عبر الشيعة الاسماعيلية كما ترى :



---

(٤) امثال الوزير جمال الدين (+ ٦٢٣ هـ) وقزأ وغلي (+ ٦٥٤) والصابي والذهبي (+ ٦٧٣) وابن خلكان (+ ٦٨١) وابن العبري (+ ٦٨٥) والنويري (+ ٧٣٣) والقلقشندي (+ ٨٢١) والمقريزي (+ ٨٤٥) وابن خلدون (+ ٨٠٦) وغيرهم ... وحديثا محمد عبدالله عنان . وحسن ابراهيم حسن . وعارف تامر . ومصطفى غالب ...

ألخلفاء الفاطميّون

عبيد الله المهدي	حكم ٢٩٧ — ٣٢٢ هـ/ ٩٠٩ — ٩٣٤ م
ألقائم بأمر الله	حكم ٣٢٢ — ٣٣٤ هـ/ ٩٣٤ — ٩٤٥ م
ألمنصور بالله	حكم ٣٣٤ — ٣٤١ هـ/ ٩٤٥ — ٩٥٢ م
ألمعزّ لدين الله	حكم ٣٤١ — ٣٦٥ هـ/ ٩٥٢ — ٩٧٥ م
ألعزيز بالله	حكم ٣٦٥ — ٣٨٦ هـ/ ٩٧٥ — ٩٩٦ م
الحاكم بأمر الله	حكم ٣٨٦ — ٤١١ هـ/ ٩٩٦ — ١٠٢١ م
ألظاهر لإعزاز دين الله	حكم ٤١١ — ٤٢٧ هـ/ ١٠٢١ — ١٠٣٥ م.

يتبين من هذه السلسلة ما يلي :

١ — ان الامامة مستمرة من علي بن ابي طالب ، مرورا باسمعيل ، حتى الحاكم بأمر الله . فالدروز يأخذون بهذا التسلسل ، الا انهم يعدون عبيد الله المهدي وصيّا للقائم وليس اماما . فهو « إمام مستودَع » لا « إمام مستقر » .

٢ — ان عبيد الله المهدي ينتسب بحسب الدروز . الى عبدالله بن ميمون القداح . واضع اسس الدعوة الباطنية ومنظم الحركة القرمطية . وليس الى سلالة الإمامة الحقّة .

٣ — يختلف المؤرخون حول عدد الاحقاب بين المهدي والقداح . كما يختلفون في نسبته الى السلسلة العلوية وتبقى هذه المسألة معقدة غامضة .

٤ — امّا الدروز فيقولون بان سعيد الخير المهدي ، استقر بسلمية من اعمال حمص واستمر في نشر الدعوة القداحية ، وحاول الخليفة العباسي المكتفي بالله ان يقبض عليه ففرّ الى المغرب .

٥ — كان في سلمية آنذاك محمد القائم بأمر الله وكان ولدا صغيرا ، فتكفّله سعيد الخير وفرّ به . ولما بلغ محمدٌ رشده ، انتحل سعيدُ الخير الامانةَ لنفسه ، وحدثت بينهما معارك استعاد فيها محمد حقّه واصبح حاكمَ الدولة الفاطمية بلقب القائم بامر الله .

٦ — استمرت الامامة والخلافة في اعقاب القائم حتى الحاكم ، فاولاده واحفاده ...

ثالثاً — الحاكم تحت الوصاية ٣٨٦ — ٣٩٠ هـ

« وجد » الحاكم بأمر الله ، ابو علي ، المنصور بن العزيز بالله يوم الخميس في ٢٣ ربيع الاول سنة ٣٧٥ هـ الموافق ١٣ آب ٩٨٥ م . وبويع بالخلافة يوم وفاة أبيه ببليس يوم الخميس في ٢٨ رمضان ٣٨٦ هـ . وكان له اخت تدعى « ست الملك » تكبره بنحو ١٥ عاما .

تولى الوصاية عليه اول الامر ، الحسن بن عمّار ، زعيم كتامة اقوى القبائل المغربية . فـ « استولى الكتاميون على الدولة استيلاء تاما » [(٥)] .

الا ان المشارقة قاتلوا الكتاميين وانتصروا عليهم وخاف ابن عمار على نفسه وفرّ . فولّى الحاكم الامور الى برجوان الخادم زعيم الاتراك والمشارقة ،

---

(٥) تاريخ الانطاكي ص ١٨١ .

فاستأثر برجوان بالسلطة ، وجرت في عهده معارك بين الروم والفاطميين ، فتح فيها الروم كل البلاد الواقعة بين انطاكية وحمص ووصلوا الى ابواب الشام ، ثم رجعوا على طريق الساحل ونزلوا في طرابلس وطرطوس ... ولكن برجوان قرر اقامة الهدنة بينه وبينهم ...

رابعاً — الحاكم يستقل بالسلطة ٣٩٠ — ٣٩٥ هـ

شعر الحاكم ان سلطته اصبحت ، مع برجوان ، مسلوبة ، فاستدعاه يوما الى حديقة داره ودبّر له من يقتله في ١٦ ربيع الثاني ٣٩٠هـ [٦] وانتقلت السلطة كاملة اليه .

بعد ستة اشهر من مقتل برجوان قتل الحاكم ابن عمار . وحمزه نفسه يعترف بهذا القتل فيقول : « فأمر مولانا سبحانه بقتلهم ، فقُتلوا قتل الكلاب ... ثم امر بقتل ملوك كتامة وجبابرتها » [٧] ...

١ — شغف الحاكم بالليل

واصل الحاكم ، طوال اربع سنين (٣٩٠ — ٣٩٤) النزول الى مصر متنكرا . وكان شغوفا بالليل ، يعقد مجالسه ليلا ، وينفق شطرا من الليل في جوب الشوارع والازقة ويصدر الاوامر بتعليق المصابيح ليلا على جميع الحوانيت وابواب الدور ... [٨] وكان يأمر بكنس الشوارع والازقة وامام ابواب الدور ...

---

(٦) المقريزي : الخطط ٢/١ — ٥ اتعاظ الحنفاء ، ورقة ٥٤ب ، النويري ، نهاية الارب ٥٢ .
(٧) رسائل الحكمة ١٢٦/١٢ .
(٨) المرجع نفسه .

وتنقل بعضُ الروايات ان الحاكم كان احيانا يلهو ، اثناء طوافه ، برؤية بعض المناظر المثيرة : «كان الرعايا والرعاع يجتمعون ، في الاسواق ، بين يدي الحاكم ، فيتصارعون ويتلاكمون ... » [٩] .

ويؤكد حمزه هذه الروايات : « ان الحاكم كان يأمر الركابية بالعصي والمقارع ... وبالكشف عن الفروج والاحاليل » [١٠] .

ولكن لما خرج الناس في ذلك عن الحدّ ، وبالغوا في اللهو والمجون ، منع الحاكم النساء من الخروج ليلا ، ثم منع الرجال من ارتياد الحوانيت والمقاهي ، وعاد الظلام يخيّم على القاهرة بالليل ... [١١] .

٢ — كنائس النصارى :

في هذه المرحلة ، قبض الحاكم على كتّاب الدواوين من النصارى ، لكنه اطلقهم بعد اسبوع بشفاعة طبيبه ابي الفتح سهل بن مقشر النصراني ... وكان النصارى قد بدأوا في تجديد كنيسة قديمة بظاهر مصر ، فثار قوم من المسلمين فهدموها ، وانشأ الحاكم مكانها مسجدا ...

ونهى الحاكم عن بيع النبيذ ... وحظّر على النساء كشف وجوههن وراء الجنائز ... [١٢] .

٣ — القتل بالجملة

يعترف حمزه انه ما من « قبيلة الاّ وقد قتل ساداتهم ، والرعية كلها

---

(٩) تاريخ الانطاكي ص ١٨٥ .

(١٠) رسالة «كتاب فيه حقائق ما يظهر» رقم ١١ ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(١١) مرآة الزمان ٤٠١/٣ ، النجوم الزاهرة ١٧٦/٤ .

(١٢) تاريخ الانطاكي ١٨٥ — ١٨٦ .

اعداؤه في الدين »[١٣] .

لقد افتتح الحاكم عهده بقتل برجوان وابن عمّار . وفي اواخر سنة ٣٩١ قتل مؤدبه ابا التميم سعيد بن سعد الفارقي . وفي المحرّم من ٣٩٢ قتل ابن ابي نجدة متولّي الحسبة . وفي ٣٩٣ قتل ابا علي الحسن بن عسلوج واحرقه . وفي جمادى الاول من نفس العام قتل وزيره فهد بن ابراهيم النصراني ... وبعد مدة قتل اخاه ابا غالب واحرقه بالنار ... وفي سنة ٣٩٤ قتل اكثر الاعيان ورجال الدولة . وقد ذكر لنا المقريزي عددا كبيرا ممّن قتلهم ، من زعماء كتامة ومن الغلمان والخاصة والرعية[١٤] .

ويذكر لنا حمزه هواية القتل عند الحاكم فيعدّد لنا اسماء كثيرة ، حتى ان « قلوب العساكر تجزع في مضاجعهم مما رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال »[١٥] .

خامساً — غرابة الاحكام وسجلاّت الامان (٣٩٥ — ٣٩٨)

١ — غرابة الاحكام .

في ١٣ المحرم سنة ٣٩٥ امر الحاكم ان يلبس النصارى واليهود الزنانير في اوساطهم والعمائم السود على رؤوسهم ... وأمر ان يكتب على الجوامع والحيطان لعنَ ابي بكر وعمر وعثمان ومعاوية والخلفاء العباسيين . ومنع شرب الفقّاع وأكل الملوخية والجرجير والسمك العديم القشر ، وحرّم ذبح

---

(١٣) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/١٢٨ .

(١٤) خطط المقريزي ٣/٣٢ ، ٤/٧٠ ، النجوم الزاهرة ٤/٢١٢ .

(١٥) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/١٢٦ .

الابقار السليمة ، وأمر بقتل الكلاب بسبب انها تكثر النباح في الليل ، وتزعجه في طوافه . وحرّم دخول الحمّام بلا مئزر ، وشدّد على النخاسين وتجار الرقيق في المنع من بيع العبيد والاماء لاهل الذمة ، وحرّم على النساء التبرّج ... وعوقب كثيرون بالجلد والاعدام (١٦) . وكانت كل تهمة تعرّض المتهم للقتل والحرق .

٢ — سجلات الامان .

يروي لنا المسبّحي صديقُ الحاكم أن الحاكم أمر في سنة ٣٩٥ بعمل شَونة كبيرة ... (١٧) فذعر الناس وظن كل من اصحاب القصر والدواوين انها أعدّت لإعدامه ، فاجتمعوا وراحوا يقبّلون الارضَ حتى وصلوا الى القصر يتضرعون ويسألون العفو... فأمرهم الحاكم بالانصراف وبالرجوع باكرا لتلقّي سجلات العفو .

وفي اليوم التالي صدرت الامانات لمختلف الطوائف والفئات من مسلمين ونصارى ويهود ، من تجار وحرفيين وغلمان ...

في «رسائل الحكمة » نموذج عن هذه السجلات وهي الكتب الاربعة الاولى . وهذه السجلات هي الكتب الوحيدة في مجموعة الرسائل من وضع الحاكم وزمانه . وهي لا تُحسب من مجموعة « رسائل الحكمة » الدرزية ؛ ولكنّها اضيفت إليها مؤخراً ، في زمن الأمير السيّد التنوخي .

٣ — ظاهرة ابي ركوة

في سنة ٣٩٥ ظهر ببرقة رجل اندلسي يعرف بالوليد بن هاشم وذكر

---

(١٦) اتعاظ الحنفاء ورقة ٥٩ أ .

(١٧) الشونة مخزن للغلة فتح الحاكم ابوابه ليمتحن الناس .

انه من نسل عثمان بن عفان. نزل في بيوت البربر وكانوا على مذهب السنّة ، فصار معلما لاولادهم وأخذ يرغّبهم في مساعدته على الحرب لنصرة الاسلام ... جرّد الحاكم لمقاتلته جيشا كبيرا على رأسه غلام تركي يسمّى نبال الطويل ... فقُتل العديدُ من عسكر الحاكم ؛ وأسِر نبال وقُتل ... وفي العام التالي زحف ابو ركوة الى الاسكندرية وكان عسكر الحاكم بقيادة « قابل الارمني » : فقُتل قابل ، ودَخل ابو ركوة المدينة ، لكن الحاكم عاد فجهز جيشا ضخما فهُزم ابو ركوة ، وقُبض عليه وصُلب وأُحرق ...
يعترف حمزة بذلك ويذكر الناس بما شاهدوه من صنيع الحاكم بابي ركوة [١٩] .

٤ — قصة الخمرة

في هذه المرحلة تراجع الحاكم عمّا حرّمه سابقا كبيع النبيذ والملوخية وتراجع عن سبّ الخلفاء ... واستدعى المغنّين واصحابَ الملاهي الى مجلسه ... ولما مات ابو يعقوب الطبيب عـاد الحاكم فحرّم شربَ النبيذ حتى انه منع بيع الزبيب والعسل وغرّق في النيل كل ما عنــد التجار من هذه المواد [٢٠] .

سادساً — ذروة الشذوذ ٣٩٨ — ٤٠٨ هـ .

مرحلة مثيرة مليئة بالاحداث المروعة وتصرفات الحاكم الغريبة . وإليك اهمها :

---

(١٩) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/١٢٦ .

(٢٠) تاريخ الانطاكي ، ص ١٩٠ — ١٩٢ .

١ — قصة قائد القواد وقاضي القضاة

في شعبان سنة ٣٩٨ هـ ، عزل الحاكم قائدَ القواد الحسبن بن جوهر وصهره عبد العزيز بن النعمان قاضي القضاة وامرهما بملازمة دارهما ثم قبض عليهما ... ولكنه عاد فافرج عنهما بعد هياج حدث في القاهرة . ففرّا خارج القاهرة فاصدر عفوا عنهما حتى عادا في موكب حافل .

وفي ١٢ جمادى الآخرة سنة ٤٠١ هـ استبقيا في القصر وقتلا بطريقة غامضة ، كما لوحق اولادهما بعد فرارهم الى الشام وقتلوا سنة ٤٠٣ هـ [٢١] .

٢ — قصص الحاكم مع النصارى

في ليلة عيد الشعانين من سنة ٣٩٨ هـ منع النصارى من تزيين كنائسهم ، ثم صدر سجلّ بمصادرة الاملاك واوقاف الكنائس وحرق الصلبان [٢٢] . وأَلحق بالعديد من النصارى أَلوانا من العذاب فمات عدد منهم وأَسلم آخرون .

وفي سنة ٣٩٩ امر الحاكم ان يتميز النصارى في الحمامات عن المسلمين بصليب في رقبتهم وأن يتميز اليهود بجلجل ... وأمر بهدم الكنائس وسلب محتوياتها . وأمر بهدم كنيسة القمامة (اي القيامة) . وفي سنة ٤٠٠ أمر بهدم دير القَصير مقر بطريركية الأقباط ، وهدم كنيسة مرت مريم في دمياط وقتل البطريرك ارسانيوس [٢٣] . وفي سنة ٤٠١ أمر بأخذ الجزية من

---

(٢١) الخطط ٢٣/٣ و ٢٤ ، الانطاكي ١٩٩ .

(٢٢) الخطط ٤١٨/٤ ؛ اتعاظ ٦٢ أ .

(٢٣) مخطوط « سير البيعة المقدسة » ؛ الانطاكي ص ٢٠٢ .

النصارى واليهود ، ومنع النساء من الاستحمام في الحمامات العامة وخروجهن الى مواضع الفرجة ، كما أمر بحرق آلات الموسيقى واغلاق الملاهي [٢٤] .

وفي سنة ٤٠٣ استبدل في دواوينه النصارى بالمسلمين ، وكثرت الشناعات السيئة فيهم ، فاجتمع الكتّاب والعمال والاطباء وغيرهم مع اساقفتهم وكهنتهم وتوجهوا الى قصره حفاة باكين مستغيثين ... فردّ عليهم ردًا جميلا ... لكنه بعد ذلك أصدر أمرا بتعظيم الصلبان في اعناقهم بغية ازعاجهم ...

وصدر أمر الى اليهود بأن يعلّقوا في اعناقهم أَكُر خشب من خمسةِ أرطال اشارة الى رأس العجل الذي عبدوه سالفا ... فأسلم كثيرٌ منهم ومن النصارى . ومَن لم يسلم أَمَرَ بقطع اعضائه وأباح للعبيد مالَه وعياله ، وهدّم كل ما تبقى من كنائس ، واحرق عظام الموتى وأحرق الكتب المقدسة ... فأسلم قسم منهم ، وآخرون هجروا الى بلاد الروم [٢٥] .

٣ — شهوة القتل

في هذه المرحلة تزايد الحاكم في القتل لسائر مَن في دولته « وكان أَمرا فظيعا لم يُشاهَد مثله ، ولا جرى في السالف مثله » [٢٦] . وفي العام ٤٠٠ وقعت مقتلة بين الغلمان والخدم ، وقتل جماعة من العلماء السنيين .

ويذكر التاريخ قصةً دموية للحاكم مع خادمه غين . لقد كان غين من الخدم السود وكان الحاكم يغمره بعطفه فأسند اليه منصبَ رئيس

---

(٢٤) الخطط ٧٢/٤ ؛ اتعاظ ٦٣ أ ؛ ٦٥ أب ؛ ابن خلكان ١٦٦/٢ .

(٢٥) الانطاكي ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٢٦) تاريخ الانطاكي ، ١٩٤ — ١٩٧ .

الشرطة والحسبة بمصر ، ولكنه عاد فسخط عليه وأمر بقطع يديه ثم لسانه ، حتى توفي بعد مدة قصيرة سنة ٤٠٤ [٢٧] .

واستمرت موجة الفتك بالمقربين الى الحاكم . ففي سنة ٤٠٥ قتل قاضي القضاة مالك بن سعيد ، ثم أمر بضرب عنق وزيره الحسن بن طاهر الوزان ثم عبد الرحيم بن ابي السيّد الكاتب متولي ديوان النفقات .

وقد كانَ القتلُ عند الحاكم ضرباً من ضروب اللهو والرياضة . يروي لنا المقريزي انه دفع جماعة من الاحداث الى المبارزة في القفز من مكان شاهق ، فمات منهم ثلاثون شخصا ... ودفع لمن نجا منهم مالا [٢٨] . ويروي لنا ايضا ان القائد فضل بن صالح شاهد بين يدي الخادم صبيا قد ذبحه واخذ يقطع احشاءه ، فولّى الفضل مذعوراً . ولم تمض ساعة حتى انفذ اليه الحاكم من يقتله [٢٩] .

وعلى هذا النحو ، استمر الحاكم يفتك بالزعماء ورجال الدولة ورجال القصر والخدم وسواهم حتى أباد معظمهم . وتقدّر الرواية المعاصرة ضحايا الحاكم بثمانية عشر الف شخص من مختلف الطبقات [٣٠] .

٤ ــ الحجر على النساء

في هذه الحقبة صدر امر الحاكم بان يلزم النساءُ منازلهنّ ، وحظّر عليهن الظهور ، كما منع الاساكفة من صنع أخفاف لهنّ . وعوقبتْ كثيرات

---

(٢٧) اتعاظ ٦٧ أب ، انظر النجوم الزاهرة ٢٢٣/٤ .

(٢٨) اتعاظ الحنفاء للمقريزي ، ورقة ٥٩ ب .

(٢٩) مخطوط « سير البيعة المقدسة » ؛ اتعاظ الحنفاء للمقريزي ٦٠ ب .

(٣٠) نهاية الارب ٥٢/٢٦ ، ٥٣ ؛ تاريخ الانطاكي ص ٢٠١ .

بالضرب والحبس والموت . وأمر الحاكم الباعة بان يحملوا السلع والاطعمة الى المنازل فيمدوا الى المرأة مغرفةً فتأخذ ما فيها من وراء الباب وتضع فيها الثمن [٣١] .

وكان الحاكم قد اخرج من قصره عددا من حَظاياه وامهات اولاده رغم شغفه بالجماع ، وحبس بعضهن في صناديق واغرقهنّ في النيل .

واستمرت هذه المعاناة الرهيبة مدة سبع سنين .

٥ — زهد الحاكم وتصوفه وفحشه

كان الحاكم يواصل الركوب ليلا ونهارا فيقصد جبل المقطّم وصحراء الجب ويختلي للعبادة . كما امتنع عن تقصيص شعره وتقليم اظافره وارتدى ثيابا سوداء لا يخلعها الا بعد ان تتلبّد بالعرق والغبار [٣٢] . وراح الحاكم ينفرد بنفسه مناجيا الله كي يوحي اليه كما أوحى الى موسى . وقيل انه امتنع عن دخول الحمّام مبالغة في الخشونة والتقشف [٣٣] .

رغم هذه المظاهر لم يتورّع الحاكم عن الفحش فكان يركب على حمار اشهب ويتجول في شوارع القاهرة ويبتكر اساليب فاحشة تسلّيه ، كان يأمر مثلا احد العبيد من السودان ان يبرز احليله وآخر ان يكشف عن فقحته لتتم عملية اللواط [٣٤] .

---

(٣١) انظر : الانطاكي ص ٢٠٨ ، ابن خلكان ١٦٧/٢ ؛ الخطط ٧٣/٣ .

(٣٢) سير البيعة المقدسة . الانطاكي ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣٣) الانطاكي ١٩٢ . ٢٠٧ ؛ مرآة الزمان ٤٠١ .

(٣٤) تاريخ الانطاكي ص ٢١٧ .

٦ — شهادة حمزة

لقد دوّن حمزة نفسه هذه التصرفات الغريبة الشاذة . لكنه وجد لها تعليلا « توحيديا » الهيّا . يقول حمزة : « يشاهدون من الحاكم ما لا يجوز ان يكون من أفعال احد من البشر ...[٣٥] . وهو يرى فيها « حكمةً بالغة » ويلوم الناسَ لانهم لم يعرفوا بأن افعالَ مولانا حكمةٌ بالغة . ولو نظروا الى افعال مولانا لبانت لهم الالوهية والقدرة الازلية[٣٦] .

ويعترف حمزه بأن « المولى جلّت قدرته يخرج انصافَ الليالي الى صحراء الجبّ » ... يشاهد لعب الركابية بالعصي والمقارع . ويقص علينا ما ورد عن الفروج والاحاليل[٣٧] .

كما ان بهاء الدين المقتنى ، واضع قسم كبير من « رسائل الحكمة » ، يقرّ بان الحاكم قبل غيبتهِ ، تظاهر بلباس السواد سبع سنين وسجن النساء سبع سنين وركب الاتان سبع سنين[٣٨] .. الخ .

سابعاً — نشأة الدرزية ٤٠٨ — ٤١١ هـ

في اوائل سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧م ظهر بمدينة القاهرة ثلاثة رجال اعاجم ، عرفوا نفسية الحاكم واضطراباته المرضية وميله القوي الى اعتبار نفسه فوق مستوى البشر[٣٩] . كما شهدوا تصرفاته الشاذة ، واحكامه

---

(٣٥) رسالة السيرة المستقيمة ١٢/١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣٦) المرجع نفسه ١٢/٩٨ — ٩٩ .

(٣٧) كتاب فيه حقائق ١١/٩٩ — ١٠٩ .

(٣٨) رسالة الجزء الاول من السبعة أجزاء ٤١/٣١٩ .

(٣٩) تاريخ الانطاكي ص ٢٢٠ .

الغريبة ، والمتناقضة ، وتعطشه الى سفك الدماء ، ولعنه الصحابة ، وتهديم الكنائس ... كل هذه ادلّة على كونه من غير أصناف البشر (٤٠) .

ورأى هؤلاء أن عدداً من عامة الناس انخدعوا به ، وتنافسوا في موالاته ، ونسبوا أفعاله الى أسرارٍ خفية لم يقف على كنهها البشر . فاستغلّوا الأمر على اكمل وجه متفقين على الدعوة الى الوهيّة الحاكم .

امّا هؤلاء الثلاثة فهم حمزة بن علي بن أحمد الزوزني المعروف باللبّاد ، وحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم ، ومحمد بن اسمعيل الدرزي المعروف بنشتكين (٤١) . وكان الدرزي أسبقهم الى نشر الدعوة فتسمّت باسمه . وتزايد أمر الدرزية ، فلعنوا الانبياء ومحمداً وعليّا وبالوا على مصاحف القرآن . وقطع الحاكم الصلاة والخطبة في الجوامع وعطّل الحج الى مكّة ... ممّا اثار حفيظةَ المسلمين ... (٤٢) .

وراح الحاكم يفرّق على العبيد السودان سلاحاً فنزلوا الى مصر ونهبوا وأحرقوا وسبوا ... في هذا الوقت أخذ الحاكم يتقرّب من النصارى ، فأَمر ببناء ما تهدم من الكنائس والاديرة ، وكتبَ اليهم الأمان تلو الامان ، وأَنفق من بيت المال لتجديدِ بناء دير القصير (٤٣) . زاد هذا في سخط المسلمين فلاحقوه ، ولاحقوا دُعاته وشنّعوا عليه ميله الى النصارى ، ولبسَ الصوف مثلهم ، والترددَ على دير القصير (٤٤) ... الى أَن اختفى .

---

(٤٠) المرجع نفسه ص ٢٢١ — ٢٢٢ .
(٤١) المرجع نفسه ص ٢٢٣ .
(٤٢) المرجع نفسه ٢٢٤ — ٢٢٥ .
(٤٣) المرجع نفسه ٢٢٨ .
(٤٤) المرجع نفسه ص ٣٣٣ .

ثامناً — نهاية الحاكم : ٤١١ هـ

اختفاء الحاكم ، كحياته ، كان لغزا تضاربت حوله الروايات :

١ — **مؤامرة سياسية** : منهم من اعتقد بأن الحاكم كان ضحية مؤامرة دبّرتها اخته « ست الملك » التي كان يشدد عليها الحجر والمراقبة ويوجّه اليها اتهامات مختلفة [٤٥] تقول بعض الروايات بأن « ست الملك » فاوضت بالامر سيف الدولة الحسين بن دوّاس زعيم كتامة ، فتعهّد بالتنفيذ وعهد الامر الى اثنين من عبيده فقصدا جبل المقطم ، حيث الحاكم في خلوته ، وانقضّا عليه وقتلاه . وكان ذلك ليلة الاثنين ٢٧ شوّال سنة ٤١١ الموافق ١٣ شباط سنة ١٠٢١ م . دعت « ست الملك » حالاً كبير الوزراء وأَمرتْه بالكتمان والطاعة ، وتمتِ البيعةُ لأبي الحسن علي خليفةً مكانَ ابيه باسم « الظاهر » . على اثر ذلك نكّلت « ست الملك » بكل مَن له علم بالجريمة . وشرع « الظاهر » يضطهد الدروز فراحوا يلعنونه ويدعونه « بالدجال الاعظم » .

٢ — **ثأر شخصي** : ومن الرواة مَن يحاول تبرئة « ست الملك » . من هؤلاء المقريزي والمسبحي اللذين ينسبان تهمة القتل الى رجل من بني حسين قتل نفسه بعد ان قتل الحاكم [٤٦] .

٣ — **رواية الاختفاء المقصود** : هذه الرواية من « سير البيعة المقدسة » تقول بان الحاكم خرج الى الجبل ذات ليلة ومعه ركابيٌّ واحد ، أَمره

---

(٤٥) ابن خلدون ٤/٦١ ، اتعاظ الحنفاء ، ورقة ٦٩ ب .

(٤٦) خطط مصر للمقريزي ج ٤ ص ٧٤ .

بالانصراف وتركِه لوحده . ولما لم يعد في اليوم التالي راحوا يبحثون عنه فلم يجدوه .

٤ — **ترهّب الحاكم** : هناك رواية تقول بان الحاكم لجأ الى مكان في الصحراء واعتنق النصرانية ثم ترهّب وقضى ايامه هناك[٤٧] .

٥ — **العقيدة الدرزية في « غيبة » الحاكم** : يقول حمزة بغيبة الحاكم واختفائه وارتفاعه الى السماء ... وسيعود يوماً ليملأ الارضَ عدلاً ويدينَ البشر كافة ... وبالنتيجة ، مهما تكن الاسباب ، فاننا نأخذ بفكرة « الغيبة » على ما هي في « رسائل الحكمة » ، لنتابع استكشاف حقيقة العقيدة الدرزية .

---

(٤٧) تـــاريـخ ابـن العبري السريـــاني ، انظر سلفستر دي ساسي . الجزء الاول ص ٤١٧ (بالفرنسية) .



الفصل الثاني

الوهيّة الحاكم

أولاً — نزعة التأليه في التاريخ

دعوة حمزة الى تأليه الحاكم لم يكن أمرا مستحدثا في التاريخ البشري ولا في التاريخ الاسلامي . هذه الظاهرة عرفتها مصر الفرعونية ورأت في ملوكها « ظلّ الله على الارض » . وادّعى الفراعنة انهم « تقمّصوا أرواح الآلهة » [(١)] .

وكانت النزعة التأليهية في بلاد فارس على اشدّها ابّان العهد الساساني (٢٢٤ — ٦٥١ م) . وفي بدء الدعوة الاسلامية قام من يقول بتقديس عليّ بن أبي طالب وبأن فيه جزءاً الهيا . قال عبدُ الله بن سبأ في عليّ : « انه لم يمتْ ، وانما شبّه للناس ، وانه سيرجع من السحاب » وفي عهد الخلفاء الفاطميين ، كان ينظر الناسُ الى الامام عليّ انه ظل الله على الارض [(٢)] .

---

(١) ذيل « الملل والنحل » للشهر ستاني تأليف محمد سيّد كيلاني ، دار المعارف بمصر ، ص ٣ — ٤ .

(٢) الدكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٦٦ .

وفي كتب التاريخ و « رسائل الحكمة » شهادات كثيرة تضفي على تصرفات الحاكم البشرية هالة الهية . ولا تكتفي « رسائل الحكمة » بهذا ، بل تطلق على الحاكم بامر الله اوصافا واسماء لا تجوز الاّ على الله .

ثالثاً — التوحيد

لقد اعتبر حمزة بن علي صفة « التوحيد » المحور الذي تعتمد على مفهومه جميع الصفات . « بالتوحيد عرفت جميعُ الاشياء ، لا بالاشياء يعرف التوحيد »[٩] ، وان « علمَ الحقيقة هو توحيد مولانا جلّ ذكره »[١٠] . « فالتوحيد للمولى جلّت آلاؤه أول المفترضات . واول الديانة بالله معرفته ، وكمالُ معرفته نظامُ توحيده ، ونظامُ توحيده نفيُ صفاتِ المخلوقين عنه »[١١] .

لهذا السبب سمّي اتباع حمزة « بالموحِّدين » ودينهم هو دين التوحيد ودعوتهم هي « دعوة التوحيد » وهم « اهل التوحيد » . وقد أعلن حمزة ، عند ظهوره ، نهايةَ الشرائع كلها ، وابطالَ الانبياء والاوصياء جميعهم ، لان نور التوحيد قد بان . جميعُ دعائم الاسلام وتعاليم القرآن والحقائق الاسلامية لا معنى لها ان لم تفد حقيقةَ التوحيد وتدلّ عليه . « فالصلاة هي صلة قلوبكم بتوحيد مولانا ؛ والبرّ هو توحيد مولانا جلّ ذكره . السلام هو الامام ودار توحيد مولانا »[١٢] ، وجنة النعيم في سورة الواقعة ٨٨/٥٦ تعني

(٩) الشافية لنفوس الموحدين ٤٥٩/٥٨ ؛ ايضاح التوحيد ٦٥٦/٧٤ .
(١٠) ميثاق النساء ٧٠/٨ .
(١١) الشافية لنفوس الموحدين ٤٥٣/٥٨ — ٤٥٤ .
(١٢) البلاغ والنهاية ٧٩/٩ .

دعوة التوحيد .

هذا التوحيد يقوم على « نفي التشبيه عن المولى من جميع المعاني والجهات . (وهذا لا يكون) الا بنفي البنوّة والابوّة . ونفي الازواج والاولاد التي ظهر بها في دور الستر ... فحقائق التوحيد والتنزيه والتأليه هي التي تفرّد بها المولى إله الارض والسموات » [١٣] .

من مفاهيم التوحيد اذن ألاّ يكون للحاكم أيّةُ نسبة الى أحد من البشر : لا اب له ، ولا ابن ، ولا عم ، ولا خال ... كما انه ليس للحاكم صفات بشرية مادية كالاكل والشرب والنوم ... والحاكم لا يدخل في نطاق المخلوقين . « فهو قد تنزه عن جميع الانبياء والائمة الهاديين » [١٤] .

والتوحيد يعني ان ليس لمولانا ضد او شبه او ندّ او كفؤ او غير ذلك . يقول حمزة : « اياكم ان تظنّوا بان الضدّية لمولانا سبحانه ، لانه بلا شبه ، ولا ندّ ولا نظير ، والضد لا يكون الا للشكل والمثل ... » [١٥] .

وفي ذروة التوحيد ان يتنزّه الحاكم عن الصفات والاسماء والخواطر « فهو يُجَلُّ عن الوصف والادراك ... ولا تقدر على وصفه اللغات ... ولا يدخل تحت الاسماء والصفات ... » [١٦] .

---

(١٣) ايضاح التوحيد ٦٥٦/٧٤ .

(١٤) الغاية والنصيحة ٢٨٣/١٠ ؛ كشف الحقائق ١٣٠/١٣ .

(١٥) البلاغ والنهاية ٧٥/٩ .

(١٦) البلاغ والنهاية ٦٤/٩ ، ٩٧/١١ ، ٤٩/٦ ، ٦٤/٧ الخ ...

هذه الصفات الالهية لا يمكن حصرها ، لان صفحات الرسائل تزخر بها . يقول حمزة « القدرة والجلال والتنزيه والاعظام والتقديس والتأكيد للاله الحاكم المنفرد بالابداع ، المتعالي ... الذي تفرد بجلال الملكوتية وعظم الجبروت ... »(١٧) .

وقرر حمزة اثباتَ التوحيد بهذا الاسلوب :

« لا اقول بأَنَّ الله له مكان معروف فيكون محصورا ، ولا يخلو منه مكان فيكون عاجز القدرة ... ولا اقول انه شيء فيقع به الهلاك ، ولا اقول انه لا شيء فيكون معدوما مفقودا ... بل اقول ، ضرورة لا حقيقة ، بانه سبحانه باري كل شيء ومكوّن كل شيء ، ومصوّرهم من نوره ... »(١٨) .

وبالنتيجة ان مفهوم التوحيد « تنزيه » لا « تعطيل » . وبهذا يبتعد دين الدرزية عن الاسلام وسائر الاديان التي قالت بالتوحيد دون ان يتجرّأوا على تنزيهه لئلا يقعوا في التعطيل . والذين وقعوا في التعطيل باتوا لا يعرفون الله أَبدا .

بهذه المعرفة نصل الى عقيدة في صلب دعوة التوحيد : التجلي الالهي .

---

(١٧) النقض الخفي ٦/٦٣ .

(١٨) رسالة كشف الحقائق ١٣/١٤١ .

الفصل الثالث

التجلّي الإلهي

اولاً — مبادئ التجلّي

عقيدة التجلي الالهي ، في الدرزية ، هي اجلّ العقائد واشرفها . انها نقطة الدائرة في دعوة التوحيد . عليها تركز الرسائل وكدها ومنها تستقي روحها [١] . يحق لبني معروف ان يفتخروا بلقبهم هذا ، « لانهم فازوا بمعرفة اللاهوت في صورة الناسوت » . « والجهل ، بالحقيقة ، هو انكار تجلّي الرب في الناسوت » [٢] . على الايمان بهذه العقيدة الشريفة يقوم الدين ، وعلى الاقرار بها يكون في الدنيا « موحدون » « عارفون » فائزون بمعرفة الله وبالسعادة .

اما خلاصة مبادئ هذه العقيدة فهي :

١ — ان تجلي الله في صورة الانسان هو مبادرة الهية ، ليس للانسان في الكشف عنها اي فضل .

٢ — ان العالم الروحاني يستحيل الايمان به ان لم يدلّ عليه العالم

---

(١) الدكتور سامي مكارم ، اضواء على مسلك التوحيد ، ص ١٢٧ .

(٢) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٣٦ ، ورقة ٣٦ أب .

المحسوس . اية حقيقة يدركها الانسان ان لم يجد لها في عالمه الحسي دلالة عليه ؟ [٣] لهذا يقتضي على الله الروحاني ، لكي يُعرف ، ان يخلق لنا دليلا عليه من عالمنا الحسّي .

٣ ــ اذا كان الله عادلا فيقضي عليه عدله ان يعرّفنا بذاته لكي يكلفنا فيما بعد بعبادته . وخير معرفة لله ان يتجلى بنفسه [٤] .

٤ ــ ومن العدل ايضا ان يترك الله عرشه وسماءه السابعة ويتقرب من عباده ليكون بوسعه تكليفهم بمعرفته ، لان العباد يعجزون عن معرفة ما خَلْفَ الجدار ، فكيف حالهم مع ساكن السماء العليا ؟ [٥]

٥ ــ ان الايمان بتجلي الله يتيح للانسان في مجال طاعته لاوامره ، اذ « كيف تجوز الطاعة لمن لم يظهر الى العالم فيُعرف ... » [٦] .

٦ ــ ثم ، اذا لم يظهر الله لعباده ، تسقط عنهم الحجة ، ويعذرون في توقفهم عن طلب الحق .

٧ ــ ان الذين يشكّون بالله ويكفرون به ، هم الذين لم يروه ليعرفوه ، ولم يسمعوه لينالوا منه الحقيقة . ولم يشعروا برأفته بهم ليطمئنوا اليه .

٨ ــ ان عقيدة كل دين تكون صحيحة بالنسبة الى ايمانها بتحرك الله صوب الانسان ، أي بمجيء الله الى الانسان مرارا وتكرارا . فمن اجل

---

(٣) من دون قائم الزمان ٥٢٦/٦٧ .

(٤) من دون قائم الزمان ٥٢٩/٦٧ .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) رسالة السفر الى السادة ٥٤٥/٦٨ .

امتحان الانسان واستحقاقه الثواب او العقاب ظهر الله ثم غاب ، ثم ظهر ثم غاب ، حتى الظهور الاخير « بالحاكم » : « ظهر لخلقه كخلقه امتحانا واختبارا ، فكان امتحانه لاوليائه هدايتهم الى معرفته وتوحيده » (٧) .

٩ — التجلي الالهي ضرورة ماسّة للانسان ... لولاه لما عرف الانسانُ عن الله شيئا ، تماما كالذي لم يسمع كلمة ، فكيف يمكنه الكلام ؟ تقول الحكمة : « قد صحّ عند كل ذي عقل ، ان المولود لو كان ابواه أَخرسَين ثم لم يسمع من غيرهما كلاما ، كان اخرس لا ينطق . واذا كانا ناطقين كان ناطقا ... » (٨) .

١٠ — بقي مبدأ هام وهو ضرورة وجود « دليل » على هذا التجلي ، و « حمزة » هو هذا الدليل وهو « الواسطة » اليه « وحجة الكشف » و « البرهان » عليه . هو العقل في دور الحاكم . تقول الحكمة : « وأدلّ دليل على إمامة قائم الزمان (حمزة) انه أَتى بضد العالم (اي على غير ما هو متعارف عليه) ... دعا الى موجودٍ ظاهر ، والله في جميع الامور قادر قاهر » (٩) ...

عرضنا مبادئ التجلي هذه اثباتا لاهميتها في دين التوحيد . انك لا تكون درزيا حقيقيا اذا جهلت عقيدة التجلي الالهي ... ان الها لم يظهر ، فهو لا يوجد ومن لا يوجد فهو بحكم العدم .

---

(٧) رسالة الزناد ٢٧١/٣٧ .

(٨) من دون قائم الزمان ٥٣١/٦٧ .

(٩) من دون قائم الزمان ص ٥٣١ .

ثانياً — كيفية التجلّي

بعد عرض مبادئ التجلي نقف امام السؤال التالي : كيف وأين تجلى الله في العالم ؟ مَن هو « المقام » الذي استحقّ أن يكون لله حجاباً ؟ تقول « الحكمة » : ان الله اختار صورة الانسان مقاما للاهوته . قال حمزه بن علي : « أظهرَ اللهُ لنا حجابه الذي هو محتجِب فيه ، مقامَه الذي ينطق منه ، ليُعبَد ظاهرا ، رحمةً منه لهم ، ورأفةً عليهم ... انتم جميع المسلمين واليهود والنصارى تعتقدون بانَّ الله عزّ وجلّ خاطب موسى بن عمران من شجرة يابسة وخاطبه من جبل جامد وسمّيتوه كليمَ الله لِمَا كان يسمع من الشجرة والجبل ... ان الشجرة والحجر لا تفهم وتعقل عن الله . ومن يفهم ويعقل عن الله أَحقُّ بكلامِ الله وفعلِه مِمّن لا يعقل عنه »(١٠) ... ويؤكد بهاء الدين بأن « المقامَ الالهي » هو الانسانُ لا غيره(١١) .

ان ظهور الله في صورة الناسوت لم يفقره في شيء ، لانه ، مع ظهوره ، يبقى باطنا محجوبا ولكونه إلَها ، لا تستطيع الصورة الانسانية حصره ، ورغم ظهوره يستطيع الغيبة آن يشاء(١٢) .

ويوضح حمزة كيفية ظهور الله ومعرفتنا به بقوله : «كما اننا لا ندرك العقلَ اللطيف الروحاني ، بل ما يظهر من العقل ، هكذا فاننا لا ندرك حقيقةَ الله ، بل ما يَظهرُ من الله في صورة الناسوت »(١٣) .

---

(١٠) كشف الحقائق ١٣/١٥٣ — ١٥٤ .

(١١) من دون قائم الزمان ٥٢٩/٦٧ .

(١٢) المناجاة مناجاة ولي الحق ٢٩/٢٣٠ .

(١٣) البلاغ والنهاية ٩/٨٠ .

هذه الصورة الانسانية التي كانت « مقاما » لله ، حلّت او ظهرت في « الحاكم » . فهو ناسوت الحجاب الذي احتجب (الله) عنا فيه ، و « المقام » الذي ينطق منه ، وهو ما نراه من صورة بشرية [١٤] .

كتاب « المصحف المنفرد بذاته » يناجي الله : « مولاي الحاكم ، سبحانك في تجلّيك هذا . ظهرت لنا فرأيناك بأعيننا وبقلوبنا وبأفكارنا ... لك الحمد على آلائك ان تسمّيتَ باسمائنا وظهرتَ بافعالنا ... الهي . سبحانك . انت الحاكم ، الفرد ، المتجلّي امامنا ... سبحانَ مَن فنيتْ ذواتُ محبّيه في مشاهدة ذاته ، فتجلّتِ الذاتُ في كل شيء ، ثم تجلّتِ الاشياءُ على ذاتها » [١٥] . وقال ايضا : « تجلّى ربّك للذين آمنوا ، فرأوه في أنفسِهم ، وخاطبوه في ألسنتهم وقلوبهم ، وجالسوه ، واحتجب عن أعين الذين كفروا » [١٦] .

ثالثاً — غاية التجلي

الغاية من ظهور الله في صورة الانسان مزدوجة : الاولى تقوم على ضرورة معرفة الله ، والثانية تقوم على شفقته على الانسان ومحبته له ...

لقد اقتضت حكمة الله من الله ان يظهر ويتجلّى لكي يُعرف على حقيقته ويوحّده الموحدون ، ويعبده العابدون . فكما « ان الروح لا تدرَك الا بالجسم ، كذلك مولانا جَلّ ذكره ، بظاهر ناسوته ، عرّفنا بلاهوته ، ومن

---

(١٤) رسالة سبب الاسباب ١٤/١٥٤ .

(١٥) مصحف المنفرد بذاته ، المنسوب لقائم الزمان ، مخطوط ص ١١٧ و١٢٣ و ١٢٠ .

(١٦) المرجع نفسه ، صفحة ٦٩ — ٧٠ .

حيث نحن . ومن صورنا خاطبنا ، والا لما عرفناه ولا ادركناه ... » [١٧] .
ولو افترضنا ان الله لم يظهر بالصورة الانسانية ، واراد للانسان ان يعرفه كما هو بلاهوته ، لاستحال ذلك على الانسان نفسه ، اذ ليس بمقدور وعاء صغير ان يسع اكبر منه ، وليس بمقدور المخلوق ان يرتفع الى مستوى الخالق ان لم يمنّ عليه الخالق بما يناسب طبعه . تقول الحكمة : « فلما كانت العبيد عاجزين عن النظر الى توحيد باريهم الا من حيث هم ، وفي صورهم البشرية ، أوجبت الحكمة والعدل ان يتسمى باسمائهم حتى يدركون بعض حقائقه » [١٨] .

اما الغاية الثانية فهي رحمة الله بالانسان . فلولا ظهور الله في صورة البشر لما شعر الانسان قط بمحبة الله له ورأفته به . « فكما ان تجليه أعظم الرحمة ، فانكاره وجحده اعظم السخط » [١٩] . فلأجل هذه الرحمة الشاملة ، اظهر الله لنا حجابه (بصورة الحاكم) الذي هو محتجب فيه ، ومقامه الذي ينطق منه ، ليعبد موجودا ظاهرا ، رحمة منه لهم » [٢٠] .
هذه الرحمة الحاصلة من التجلي ، هي مبادرة إلهية مجانية ، لا فضل للانسان فيها ، بل افاضها الله عليه دون ان يكون له عليه ايّ حق . لقد « اسبغ (الله) عليكم نعمته بغير استحقاق تستحقونه عنده ، ولا واجب لكم عليه ، بل انعم عليكم بلطفه ، وباشركم في الصورة البشرية ، لعلّكم تدركون بعض ناسوته » [٢١] . تقول الحكمة : « تقرّب الينا بنا ، وآنس

---

(١٧) رسالة البلاغ والنهاية ، ٩/٨٠ .

(١٨) السيرة المستقيمة ١٢/١٢٣ .

(١٩) مخطوط « تفسير رسالة كشف الحقائق » للامير السيد ص ٦٦٣ .

(٢٠) رسالة كشف الحقائق ١٣/١٤ — ١٤٢ .

(٢١) رسالة البلاغ والنهاية ٩/٧٥ .

عقولَنا بصُـوَرِنا ، وظهر لنا بجميع أَفعالنا ، لتقبله افهامُنا »[٢٢] . وتقول ايضا : « اظهر لنا ناسوتَ صورته تأنيساً للصور ، فحار فيها الفكر حين أفكر »[٢٣] وبالنتيجة ان الله هو « الظاهر لتأنيس البشر »[٢٤] .

من خلال ما ذكرنا ، تتضح اهمية عقيدة التجلي عند الدروز . لقد تكلم عليها الموحدون وبحثوا فيها ، وألّف حولها الدروز المعاصرون : يقول سامي ابو شقرا : « ان الخالق الحق يتجلى لعباده تذكرةً وتأنيساً ، من دور لدور » . لكنّ مبدأ « التقية » يقود ابا شقرا الى الاحتراز فيفسّر التجلي تفسيرا روحيا اذ يقول : « إن اللهَ يُري الانسانَ ذاتَه رؤيةً روحيةً لا مادّية »[٢٥] . على هذا المنوال ، وباسلوب يشوبه الالتباس او التناقض ، يعرض بعض الباحثين من الدروز عقيدة التجلي .

---

(٢٢) كتاب فية تقسيم العلوم ٢٥٨/٣٦ .

(٢٣) رسالة الانصناء ٢١٩/٢٤ .

(٢٤) رسالة الغيبة ٢٥٠/٣٥ .

(٢٥) مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ ص ١١ و ١٥ .



الفصل الرابع

سفر التكوين الدرزي وأدواره

اولاً — دور العلي الأعلى

لقد دلّنا مذهبُ التوحيد دلالةً صريحة على ان التجلي كان اثنين وسبعين دورا . ظهر الله فيها لخلقِهِ لإبطالِ حجتهم . وهذه الادوار نعرف عشرةً منها ، بعضُها بالمكان والزمان وبعضها بالمكان دون الزمان . امّا الباقي من الادوار فلا نعرف عنه شيئا [١] .

كان اول ظهور الهي في الكون باسم « العليّ الاعلى » وهو أطول ادوار الدنيا ، تجلّى حيث هي القدس [٢] . وقد اشارت اليه « الحكمة » عابرا ، فقال حمزة : « اعلموا ان آدم قد خدم في دعوة التوحيد والعبادة لمولانا العليّ الخبير ، في الاعصار الماضية ، قبل هذا الدور (الدور اللاحق) الذي لقّب فيه بآدم » [٣] واستمر العلي مدة تقدّر ب ٣٤٣ مليون سنة على

---

(١) توفيق سلمان ، اضواء على تاريخ مذهب التوحيد ص ٥٣ — ٥٤ .

(٢) توفيق سلمان ، نفس المرجع ص ٥٤ .

(٣) السيرة المستقيمة ١١٣/١٢ .

حدّ قول حمزه [٤] .

ومع ظهور الله في « العلي » ظهرت حدوده وسائر العوالم كافة .

١ — العقل الكلي

وُجدَ العقل على الشكل الآتي : « لما كان « الباري » منفردا بذاته ، غنيا عن مخلوقاته ، جعل للموجودات جميعها علةً وسببا ، يتنزّه به الباري عن مباشرةِ الابداعِ بذاته المقدسة . هذه العلة هو العقل الكلي [٥] .

هذا العقل كان « علّة العلل » و « سبب الاسباب » في حين ان العليّ هو « معلّ علة العلل » و « مسبب سبب الاسباب » . بالعقل كُوّنت جميع الكائنات فكان به تكوينهم . هو مدروك محسوس ، يأكل ويشرب [٦] عكس العلي الذي لا يُدرك . وهو غاية الموجودات ، قال له العلي : « لا دَخَلَ أحدٌ جنّتي ، أي ميثاقي ، الا بك وبمحبتك . مَن اطاعك فقد أَطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني ... » [٧] .

في مجموعة « رسائل الحكمة » والشروحات عليها فيض من الكلام على العقل ودوره وصفاته . وقد تكون كلها في تمجيده والاعتراف بفضله ... لقد ظهر هذا العقل باشكال واسماء مختلفة . سيظهر باسم « آدم الصفا » وباسم « حمزه » في دور الحاكم . وسنقف على صفاته عند كلامنا على « حمزة » .

---

(٤) انظر السيرة المستقيمة ١٣٤/١٢ ، كشف الحقائق ١٥١/١٣ .

(٥) مختصر البيان في مجرى الزمان ، ورقة ٤ ب .

(٦) كشف الحقائق ١٣٢/١٣ .

(٧) كشف الحقائق ١٣٢/١٣ .

٢ — الضدّ

لقد وُجد الضدُّ من إعجاب العقل بنفسه ، الا انّ العلي أَمر الضدَ بطاعة العقل ، فأبى وتكبّر ، وطلب الرئاسة على العقل . وعلمَ العقلُ أنّ العليَّ ابتلاه لاعجابه بنفسه ، فأقر بضعفه ، وتضرّع الى مولانا العلي الاعلى ليُوجِد له مُعيناً على الضد المخالِف . فخلق له « النفس » .

٣ — النفس

وهكذا وُجدت النفس من بين نور العقل وظلمةِ الضد . لقد حرّكَ الباري جوهري النور والظلمة ، حتى لقّح بعضُها ببعض ، فظهر منها جوهرٌ ثالث ، هو النفس . ولكنَّ الغالبَ في النفس من نور العقل . أُفيضَ عليه من نور العقل الجزءُ الكبير ، ومن ظلمة الضد النزر اليسير . وأَمرَ العليُّ سبحانه النفسَ بطاعة العقل ، وعرّفه انه الواسطة الكلية والمنفرد بالدرجة العلية ، فاقبل النفس على طاعة العقل[٨] .

٤ — الاساس

لما قام العقل خلف الضد وقام النفسُ قدامه ، زاغ الضدُ عنهما يمينا وشمالا ، واحتاج مُعيناً له عليهما ، فوجدَ « المعينَ المؤالِفَ » اي « الأَساس » وهو الضد الآخر للنفس . وسمّي « مؤالِف » لانه يؤالِفُ الضدَّ على جميع مفاسده[٩] . وبذلك حالة الازدواج في كل شيء ما بين نور وظلمة ، وطاعة ومعصية ... هذا الازدواج هو سبب وجود الخير والشر في العالم .

---

(٨) انظر مختصر البيان ورقة ١٠ أ وما يلي .

(٩) مختصر البيان ... ورقة ١٠ ب .

٥ — الكلمة

واحتاج النفسُ الى مُعين على الأساس . فكان « الكلمة » . وهذا معنى قول الحكمة : « احتاج العقلُ الى مُعين يكون له على يمينه (اي يمين الضدّ) ، واحتاج النفس الى معين يكون له على شماله (اي شمال الضد) لينحصر الضدّ بينهم ، فظهر الكلمة الازلية »[١٠] .

٦ — السابق

ثم انفعل جوهر الكلمة بالحركات التأييدية المتصلة اليه من العلل الروحانية السابقين له في الابداع ، اعني العقل والضد والنفس والاساس فظهر من الكلمة جوهر « السابق » قابلا ايضا للخير والشر قبولا متساويا[١١] .

٧ — التالي

ثم انفعل جوهر السابق بحركات العلل الروحانية التي فوقه ، المتحركة بتأييد العلي ، فظهر من جوهره الشريف جوهر « التّالي » الذي هو العلة الاخيرة : فكان ايضا عنده قبول الخير والشر قبولا متساويا ... وبهذا ثبت عدل الله في خلقه .

هذه الجواهر السبعة هم « ارواح مجرّدة قبل حلولهم في الاجسام البشرية . ولم يكن من جميع الكائنات موجود الاّ هذه الجواهر الخمسة ، وجوهر الضد والاساس »[١٢] . وهي جميعها علة جميع الكائنات . خمسة

---

(١٠) المرجع نفسه ، ورقة ١٥ أ و ب .

(١١) المرجع نفسه ، ورقة ١٨ أ .

(١٢) مختصر البيان ... ورقة ١٨ ب وما يلي .

منها هي علة كل خير ، واثنان سبب كل شر وفساد في الدنيا . وليس للعلي الأعلى ، بعد ان اوجدها ، اية مداخلة في الكون . لقد فوّض الى العقل كل شيء .

لقد استمر دور العلي الأعلى في الصورة الناسوتية مدة طويلة جدا ، لان الخلائق كانت في ضعف بالغ مما احتاجت فيه الى طول مدة التجلّي ليتبينَ الخيّر من الشرير ... وفي هذا الدور انقسمت الخلائق قسمين : قسم للجنة وقسم للنار . واستمرت مدة هذا الدور ٣٤٣ مليون سنة وظهرت في هذه المدة الطويلة ادوار عديدة الى ان ظهر دور البار ، او الباري .

ثانياً — دور الباري

ظهر البار في هَـجَر [١٣] ، من قولِ احدِ الموحدين لاخيه : « اهجرْ ابليسَ وحزبَه » والبار لفظ فارسي من « بار خُـدَاي » ومعناه « الإله الأعظم » أو « إله الآلهة » [١٤] . بظهور البار ، ظهر العقل في « آدم الصَّفا الكلّي » أو « شَطْنِيل » . لقد أطلق « شَطْنِيل » الدعاةَ الاثني عشر ، وبشّر بالدعوة التوحيدية فلُـقِّب بأبي البشر ، لان البشر ههنا هم الموحّدون ، لانهم بُشِّروا بآدم ، وقبلوا منه التوحيد فصار أبوهم في الدين [١٥] .

وينكر حمزة على اليهود والمسلمين قولهم بولادة آدم الصّفـا من

---

(١٣) توفيق سليمان ، اضواء على تاريخ مذهب التوحيد ، ص ٥٤ .

(١٤) السيرة المستقيمة ١١٨/١٢ .

(١٥) السيرة المستقيمة ١١٥/١٢ .

التراب ... بل ان الباري خلقه من أَجلِّ الاشياء واعزّها [١٦] . ثم ظهر « الضدّ » باسم « حَارَت بن تَـرْمَاح » . وظهر « النفس » باسم « أخنوخ » او آدم الثاني ، او ايضا « آدم العاصي » [١٧] أو « حوّا » ، لانها احتوت على جميع المؤمنين .

واستمر التوحيد مكشوفا في دور البار مدّة طويلة ، الى ان غاب مقام البار ، وغاب لغيبته صفيّه « شطنيل » ، ودام الموحدون على حالهم ، ودام باب الدعوة مفتوحا حوالي الف سنة ، حتى تغيرت احوالهم ومالوا الى المشركين . فغضب عليهم البار ، واظهر لهم الشرائع الناموسية الواحدة بعد الاخرى كما يلي :

١ — شريعة آدم « النّاسي » الذي قيل فيه انه « نسي ربه ولم يجد له عزماً » [١٨] للقيام بشريعة ناموسية تكليفية . وهو اول « النطقاء » ، اي الانبياء الذين « نطقوا » بشريعة فاسدة .

٢ — شريعة نوح : وهو نوح بن لمك . اول من نهى عن طاعة آدم ، وأشار الى العدم والى نفسه . فدخل اهل الحق (الموحدون) في شريعته [١٩] .

٣ — شريعة ابرهيم : وهو ابرهيم بن آزر ، واساسه اسمعيل ، دخل اهل الحق في شريعته ، وظهر في ايامه من الصالحين اسحق ويعقوب

---

(١٦) السيرة المستقيمة ١١٢/١٢ .

(١٧) السيرة المستقيمة ١١٣/١٢ .

(١٨) القرآن ، سورة طه ١١٥/٢٠ .

(١٩) انظر ١٢٠/١٢ ، ٢٦٣/٣٦ مختصر البيان ... ورقة ٤٢ — ٤٣ .

ويوسف وغيرهم[٢٠] .

٤ ــ شريعة موسى : وهو موسى بن عمران واساسه هارون . دخل اهل الحق في شريعتهم ... وظهر في زمانهم من الانبياء الصالحين اشعيا وارميا وحزقيال ودانيال وداوود وسليمان وشعيب وايوب ... ثمّ فوتاغورس وافلاطون وارسطاطاليس وغيرهم[٢١] .

٥ ــ شريعة عيسى : هو عيسى بن يوسف ، اساسه شمعون الصَفاء ، وحججه الحواريون الاثني عشر . انتقل اهل الحق الى شريعتهما . ظهر في زمانهم انبياء صالحون امثال « السيد المسيح » الذي هو « يسوع عليه السلام » واصحاب الاناجيل الاربعة : يحنّا ومتّا ومرقص ولوقا ، سلام الله عليهم . هؤلاء كانوا يفيضون الوحي الى عيسى ، ويودعون الحقائق التوحيدية في شريعته[٢٢] .

٦ ــ شريعة محمد : وهو النبيّ محمد واساسه علي بن ابي طالب . وكان سلمان الفارسي[٢٣] « يمد » محمدا ويفيض الوحي عليه ، و« يملي » عليه القرآن . ولما قام علي بن ابي طالب بالتأويل دخل اهل الحق في تأويله ، واستمروا عنده حتى انقضت مدّة سبعة أئمة بعده ، وهم من ذريته : الحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق واسمعيل[٢٤] . وكانت شريعتا محمد وعلي أقوى الشرائع وأفسدها .

---

(٢٠) المرجع نفسه .

(٢١) انظر ١٢/١٢٠ ، ٣٦/٢٦٣ مختصر البيان ... ورقة ٤٤ أ .

(٢٢) انظر ١٢/١٢١ ، ٣٦/٢٦٣ ، مختصر البيان ... ورقة ٤٤ أ و ب .

(٢٣) سلمان الفارسي احد الصحابة الاوائل للنبي محمد . وهو حمزة نفسه في أيام محمد .

(٢٤) هؤلاء الأئمة مع علي يؤلفون الأئمة الاسماعيلية السبعة .

٧ ــ شريعة محمد بن اسمعيل ابن جعفر الصادق ... ابن علي بن ابي طالب . ختم الشرائع وأتمها . هو كالنطقاء او الانبياء السابقين . لكنه لم يكن له كتاب امثالهم لذلك بقي اهل الحق على شريعة النبي محمد وشريعة اساسه علي .

ثالثاً ــ ادوار الاعداد للكشف الحاكمي

١ ــ دور ابي زكريا .

لما قرب الفرج وهجم زمان الكشف الاخير (في دور الحاكم) أوجبت « الحكمة » ظهور مقام ابي زكريا في وقت الامام الثالث للاسماعيليين احمد بن محمد بن اسمعيل (٢٥) وفي صورته البشرية (٢٦) . ان ابا زكريا هو نفسه محمد بن محمد الملقب بـ « احمد الرضى » الذي اضطهده المأمون الخليفة العباسي فنزح الى تدمر ثم استقر في سَلَمِيّة ما بين حمص وحماه . في ايامه ظهر اخوان الصفاء برسائلهم السرية ، وهم عند الدروز ، رعيل من اهل التوحيد الاول الذين كانوا يستمدون شروحاتهم من الامام احمد (٢٧) . وكان حجته في الدين عبدالله بن احمد ميمون القداح (٢٨) .

ظهر العقل الكلي في دور ابي زكريا بصورة أسماها المولى قارون . وظهر

---

(٢٥) هو الثالث من الأئمة المستورين .

(٢٦) تقسيم العلوم ٢٦٦/٣٦ .

(٢٧) سليم ابو اسمعيل . الدروز . وجودهم ومذهبهم وتوطنهم ١١٩/١ .

(٢٨) امين طليع . اصل الموحدين . ص ٤٤ ــ ٤٥ .

النفس بصورة ابي سعيد الملطي . اما سائر الحدود فلا نعرف عنهم شيئا نظرا لتخفيهم بسبب الاضطهاد .

٢ — دور العلي .

هو الحسين بن احمد بن اسمعيل ، كنّي بالحسين الوفي ولقّب بـ « العلي » . لم يبق لشيعة الحسين من القوة ما يمكنها من المقاومة الفعلية ، فعمد الحسين الى تنظيمات سرية واتخذ عبدالله القداح مستودعا له واقامه حجّة ظاهرة لدعوته .

٣ — دور المعلّ .

هو علي بن الحسين بن احمد بن اسمعيل . كان كثير الحذر لا يستقر في مكان . كان يظهر بمظهر التجار ويجوب صحاري تدمر والمشرق . من معجزاته انه «كان يسافر وحده بألف جمل محمّلة من البضائع والاموال وليس معه سوى غلام واحد ... وكان اللصوص اذا حاولوا اخذ شيء من أي جانب ، يجدون المعلّ حاضرا عنده . فلم يقدروا ان يأخذوا شيئا » (٢٩) . ترك المعل طفلا اسمه محمّد ، عرف فيما بعد باسم « القائم بأمر الله » وكفله « سعيد الخير » الذي عرف فيما بعد باسم « عبيد الله المهدي » مؤسّس الدولة الفاطمية .

٤ — دور القائم بأمر الله .

استلم القائم بامر الله الحكم من عبيد الله المهدي — لعنه الله — وعزم

---

(٢٩) مختصر البيان في مجرى الزمان ، ورقة ٥٢ أ و ب .

على الزحف على مصر ، الا ان ثورة الأدارسة كانت تهدد الدولة الفاطمية . فحوّل القائم انظاره الى المغرب فاخمد ثورتها . واستمرت الحروب بينه وبين الروم طوال عهده [٣٠] .

٥ — دور المنصور بالله .

بدأ حكمهُ في محاربة الخوارج الذين طوّقوا عاصمة الدولة الفاطمية وكان على رأسهم « ابو يزيد الخارجي » الذي اتخذ القيروان قاعدة لثورته . لقد انتصر المنصور على الثورة وامر ببناء مدينة المنصورية تخليدا لذكرى هذا الانتصار [٣١] .

٦ — دور المعزّ لدين الله .

قضى على الثورات الداخلية كما قضى على دولة الادارسة ودانت له جميع قبائل البربر ، واخضع الخوارج ، وشنّ على الروم حروبا طاحنة ... واخذ يفكر بغزو مصر بمعاونة القائد الفاتح جوهر الصقلي . في سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م ، زحف جوهر على مصر فاخضع الاسكندرية واتجه الى الفسطاط ووضع اسس مدينة القاهرة وازال سلطان العباسيين وعملائهم الاخشيديين . ودخل المعزّ القاهرة وسكن القصر الذي بناه له جوهر واصبحت القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية ثم استطاع ان يستولي على بلاد الشام فامتدت الدولة الفاطمية من المحيط الاطلسي غربا حتى الخليج العربي شرقا .

---

(٣٠) انظر : القائم بامر الله للدكتور عارف تامر ، دار الجيل .

(٣١) امين طليع ، اصل الموحدين ، ص ٥٩ .

٧ — العزيز بالله .

تعاظم في عهده خطر افتكين التركي الذي خرج على الدولة العباسية واستقل بالشام بمساعدة القرامطة . لم يستطع العَزيز ان يقضي عليهم الا بعد جهد طويل . وكان العَزيز شغوفا بالعلم ويكنّ تقديراً للعلماء . قضى العزيز ببلبيس واستلم الحكم ابنه الحاكم .

يعتبر الدروز ان هذه الادوار كانت استعدادا للكشف . ويعتبرون ايضا ، على حدّ قول حمزة ، بان الحاكم ... وهو المعزّ وهو العزيز وهو الحاكم جلّ ذكره ، يظهر لنا في اي صورة شاء وكما يشاء [٣٢] . ويقولون بانه « لما قام مولانا الحاكم جلّ ذكره بصورة التوحيد ، انكشف المكنون ... وزال كل مستور ، وزهق المغرور . وإنجازُ وعدِه لا يبور » [٣٣] . ويؤمنون بان من عرف دور الحاكم استغنى عن الادوار السابقة ، لان دور الحاكم هو اعظمها واشرفها واكملها وتمامها . انه الحاكم على جميع النطقاء والشرائع ، المنفرد عن جميع المخلوقات والبدائع [٣٤] . والمقامات كلها تعتبر بمثابة مقام الهي واحد . كلّها تتصوّب نحو « الكشف » النهائي في « الحاكم » ، الذي تكلّمنا على دوره فيما سبق ، وسنتكلّم الآن على الحدود الذين تشخّصوا في عهده .

---

(٣٢) رسالة ١٢/١٢٢ — ١٢٣ .

(٣٣) رسالة ٣٦/٢٦٩ .

(٣٤) رسالة ٣٦/٢٦٧ و ١١/١٠٤ .



الفصل الخامس

حدود دعوة التوحيد وخونتها

مقدمة — معنى الحدود ومعرفتهم

حدود التوحيد خمسة . كانوا منذ البدء ، وظهروا مع كل ظهور الهي بصور جسمانية بشرية . « الحدود » من آية قرآنية تقول : « تلك حدود الله ، ومَن يُطع الله ورسوله يدخله جنّات »[١] ، « تلك حدود الله فلا تتعدوها »[٢] . « والحدود » في المفهوم التوحيدي ، هم غاية الوجود « وقد تناهت فيهم الكمالات من سائر الوجوه »[٣] . وهم القيّمون على كشف التوحيد في مختلف ادوار الكشف ، وهم وسائط الله وسفراؤه ، وينابيع حكمته[٤] .

هؤلاء الحدود وجدوا كما يلي : « أبدع (مولانا) من نوره الشعشعاني الكامل **العقلَ الكلي** ، وأبدع من نور العقل **النفسَ** الحقيقي ، وأبدع من نور النفس **الكلمةَ** ، وأبدع من نور الكلمة **السابقَ** ، وأَبدع من نور السابق

---

(١) سورة النساء ٤/١٣ .

(٢) سورة البقرة ٢/٢٢٩ .

(٣) كتاب الدرر المضيّة واللمع النورانية . باب « د » . فصل « ح » .

(٤) منشور في ذكر اقالة سعد ١٠٤/٨١٢ وغيرها .

التالي . وابدع من نور التالي الارضَ وما عليها والافلاك الدائرات والبروج الإثنعشر والطبائع الاربعة والهيولى » [(٥)] .

وهؤلاء الحدود مشخّصون في وقتنا هذا في حضرة مولانا الحاكم [(٦)] كما يلي : العقل مشخّص **بحمزة** بن علي ، والنفس مشخص **باسمعيل** التميمي ، والكلمة مشخص **بمحمد** بن وهب القرشي ، والسابق او الجناح الايمن مشخص بابي الخير **سلامه** السامري،والتالي او الجناح الايسر مشخص **بعلي** بن احمد السموقي المعروف ببهاء الدين المقتنى ...

هؤلاء الحدود كشفوا عن التوحيد ، ودعوا الناس الى الدخول فيه ثم اغلقوا ، بعد مدة بابه . تارة نرى في « رسائل الحكمة » ذكراً لاربعة حدود ، فلا يكون حمزة بينهم لانه هو علتهم خارج عنهم ، وطورا هم خمسة فيكون حمزة من جملتهم .فلا عبرة لذلك .

من عرف هؤلاء الحدود ، روحانيا وجسمانيا ، وعرف درجة كل واحد منهم ، بان له توحيد مولانا القائم الحاكم بذاته [(٧)] . اما الذين لا يعرفون هذه الحدود فليسوا من الموحدين . قالت الحكمة : « مَن عُدم معرفةُ هذه الخمسةِ حدود لم يَعرفِ التوحيد في وقتنا هذا ، وكان توحيدُه دَعوى ... » [(٨)] ، أَي باطلاً . وقال قائم الزمان : « من كذب على إمامه ، او خالف حداً من حدود التوحيد ، فقد خرج من جملة

---

(٥) رسالة سبب الاسباب ١٤٦/١٤ .

(٦) رسالة الاسباب ١٥٩/١٤ .

(٧) الكتاب المعروف بالنقض الخفي ٥٩/٦ .

(٨) رسالة الشمعة ٢٧٩/٣٨ .

الموحدين ، وصار من الكافرين بنعمته »[٩] .

وبالنتيجة فان معرفة الحدود ضرورة واجبة للموحدين ، وقد لا يفوزون بالخلاص إن هم جهلوهم .

اولاً ـــ العقل = حمزة بن علي

ا ـــ العقل الكلي

ان العقل الذي تشخص في مختلف ادوار الكشف باشخاص عديدين مختلفي الصور والاسماء ، ظهر في دور الحاكم باسم حمزة بن علي بن احمد الزوزني الخرساني الفاطمي . ويعترف حمزة بانه كان منذ الدهور ، وهو العقل الكلي ، وهو آدم الصفاء ، وانه هو الذي دعا الناس الى التوحيد « في سبعين عصراً ، ما منها عصر الآ ويظهرني مولانا ، جلّ ذكره فيكم ، بصورة اخرى واسم آخر ولغة اخرى »[١٠] .

ويقول في المعنى نفسه : « اصطفاني (المولى) وابدعني من نوره الشعشعاني من قبل ان يكون مكان ... من قبل ان يخلق آدم العاصي وآدم الناسي بسبعين دورا .... وما منها عصر الا وقد دعوتُ العالمين الى توحيد مولانا ... »[١١] .

لحمزة صفات العقل جميعها ، بل حمزة هو العقل ، والعقل هو حمزة وقد لا نستطيع حصر صفات حمزة كلها ، فرسائل الحكمة مليئة بها .

---

(٩) رسالة البلاغ والنهاية ٩/٧٦ ـــ ٧٧ .

(١٠) الغاية والنصيحة ١٠/٩٤ .

(١١) رسالة سبب الاسباب ١٤/١٥٩ .

واليك ما يقول حمزة عن نفسه : « الحمد لمن أبدعني من نوره وايدني بروح قدسه ... واطلعني على مكنون سرّه ... انا صراطه المستقيم ، وبأمره حكيم عليم ... انا صاحب البعث والنشور ... انا النافخ باذن المولى سبحانه في الصّور ... انا مهدّم القبلتين ، ومبيد الشريعتين ، ومدحض الشهادتين ... انا مسيح الامم ، ومني افاضة النِعم ، وعلى يدي يحلّ بأهل الشرك النقم ... انا مجرّد سيف التوحيد ، ومهلك كل جبّار عنيد ... انا قائم الزمان وصاحب البرهان والهادي الى طاعة الرحمن »[١٢] .

هذه هي كمالات حمزة في اتساعها وشمولها . « جميع ما في القرآن والصحف وما نزله (المولى) على قلبي من البيان ومن الأسماء الرفيعة فهو يقع على عبده الامام »[١٣] .

ان صفات حمزة تدل على مهامه وادواره في دعوة التوحيد . فهو يتميز عن سائر الحدود اذ لا يجوز الاّ له كتابة « الحكمة » . واذا كتب سواه بعضا منها فبتكليف منه صريح . هاكه يصرّحُ : « وليس لاحد من الحدود ان يؤلّف كتاب ، ولا يقرأ على مَن استجاب ... فان قرأ عليهم كتابا بغير أمر فقد عصى القارئ والمستمعون جميعا ، لان الامام ينطق بتأييد مولانا جلّ ذكره روحانيا بلا واسطة ... »[١٤] .

ويعترف اسمعيل التميمي بانه لم يستطع كتابة شيء لولا امر صريح من قائم الزمان حمزه . وكذلك بهاء الدين يعترف هو الآخر بان جميع ما

---

(١٢) رسالة التحذير والتنبيه ٢٤٢/٢٣ ؛ رسالة ١٤ بكاملها ؛ كتاب النقط والدوائر .

(١٣) رسالة سبب الاسباب ١٥٩/١٤ و ٢١٤/٢٢ .

(١٤) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٩٢/١٧ .

وضعه من كتب ورسائل في مجموعة الحكمة هو من « بركات قائم الزمان ووليّ الفضل والاحسان »[١٥] .

ومن مهمات حمزة الرئيسة نسخ جميع الشرائع والنواميس . وقد يكون ظهور حمزة في هذا الدور من اجل ارجاع التوحيد الى اصوله وصفائه ، ذلك التوحيد الذي كان قبل ظهور النبيين والنواميس . ولقد عرّفت به الحكمة بأنه « مسيح الازمان وناسخ الاديان وقاتل الابليس والشيطان المنتقم من اهل الكفر والطغيان »[١٦] .

٢ ـــ حمزة والدعاة

« وجد » حمزه يوم الخميس في ٢٣ ربيع الاول سنة ٣٧٥ هـ الموافق ١٣ آب سنة ٩٨٥ م وهو نفس التاريخ الذي « وُجِد » فيه الحاكم . أصله من زوزن من بلاد فارس ، جاء مصر سنة ٤٠٥ هـ وأعلن دعوة التوحيد مع بعض من اصحابه الذين نادوا به إماما للموحدين وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة[١٧] . وهو عمره في جميع الأدوار .

واقام حمزة دُورا للقضاء خاصّةً بالموحدين وحَظي بالتأييد المطلق من قِبَل الحاكم . وكثر عدد المستجيبين للدعوة فبلغ ستة عشر الفاً[١٨] . « ومن الذين استجابوا لدعوة التوحيد عدد كبير من اعيان الدولة ، كالشريف فخر الدولة أبي يعلا حمزه بن ابي العباس الحسيني نقيب الطالبين في بلاد

---

(١٥) رسائل ٤٩٧/٦٤ ، ٥٢٦/٦٧ ، ٣١٠/٤١ .

(١٦) رسالة التعقب والافتقاد ٤١٧/٥ . انظر ٤٧٧/٦١ .

(١٧) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي ، ص ٦٠ .

(١٨) المرجع نفسه .

الشام[١٩] ، وبعض امراء آل تنوح .

٣ — حمزة والدَرزي

من الدعاة ايضا محمد بن اسمعيل الدّرزي الملقّب بنشتكين ، وحسن بن حيدر الفرغاني المسمّى بالأخرم ، وعلي بن احمد الحَبَّال ، والعجمي وغيرهم ... هؤلاء أصحاب التعاليم الفاسدة ، خاطبهم حمزه بقوله : « وما منكم أحد الا وقد نصحته ... فمنكم من استجاب ونكث ... ومالوا الى الشهوات والاعواق »[٢٠] . هؤلاء جميعهم عملوا مع حمزه على اعداد الدعاة وتنظيم الاجتماعات وتوزيع الادوار والحصول على تأييد الحاكم .

وتوالت اجتماعاتهم في جامع رَيدان المحصّن ، خارج اسوار القاهرة ، منذ سنة ٤٠٥ هـ . الا ان الدرزي ، الذي كلّف بنشر الدعوة بين موظفي البلاط ، حاز رضى الحاكم الذي « فوّض اليه الامور وبلغ منه أعلى المراتب بحيث ان الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ، ولا ينقضي لهم شغل الاّ على يده ... »[٢١] .

واستغلّ الدرزي مكانته في القصر ، وتسلّطه على بيت المال ، واستقلّ بكتابة الرقاع الى بعض دعاة الاسماعيليين ... واعتقد أنه اولى بالامامة من حمزة ، فباشر الدعوة سنة ٤٠٧ هـ ووقع الخلاف بينه وبين حمزه . فكتب اليه حمزه محذّرا : « ان كنت تدّعي الايمان فأقرّ لي بالامامة ... فاذا فعلت هذا مالت قلوب العالم الينا وارتفعت ألسنتهم عنا »[٢٢] .

---

(١٩) عمدة العارفين ١٢٢/٣ .

(٢٠) رسالة الصحبة الكائنة ٢٠٣/١٩ .

(٢١) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ١٨٤/٤ .

(٢٢) رسالة الرضى والتسليم ١٨٢/١٦ .

الا ان الدرزي مضى في غيّه وغطرسته ومعاندته ، واصبح بنظر حمزه والدروز من بعده « الضدّ » على الاطلاق ، كما اصبح غطريسا متكبرا حاسدا عاصيا . يقول فيه حمزه : « وغطريس هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين ... وابى ان يسجد لمن نصبه المولى جلّ ذكره وقلّده واختاره وجعله خليفته في دينه ... فتغطرس على الدين ... طلبا للرئاسة ... » (٢٣) .

والدرزي بنظر حمزه والدروز هو « العجل » والعجل هو « الضد » . وقد اصبح كل ضدّ يسمَّى « العجل » . فجميع الانبياء والساعون وراءهم هم « عجول » لانهم جميعا اضداد التوحيد . يقول حمزة : « والعجل هو ضد وليّ الزمان .. وسمّي الضد عجلاً لأنه ناقص العقل ، عجول في أمره . له خوار » (٢٤) . وبسبب أخذ الدروز اسمهم من الدرزي ، أتّهمهم الجهّال من الناس بعبدة العجل . ولكن الدروز يرفضون الدرزي ، ويرفضون نسبتهم اليه .

ولعدم حصول الدرزي على شيء من تعاليم الحكمة ، كتب اليه حمزه يحذّره من تعاليم يقوم بها على هواه : « ان الذي تطلبه من الكشف ليس لك عليه قدرة ، ولا بفعله طاقة ... وقد اظهرت انا من العلم الحقيقي المكنون ما تعجز انت عنه وجميع العالمين » (٢٥) .

لقد عمل الدرزي في نقل رئاسة الدعوة اليه ، فحذّره حمزه مرة اخرى

---

(٢٣) رسالة الغاية والنصيحة ٩٢/١٠ — ٩٣ .
(٢٤) رسالة البلاغ والنهاية ٧٥/٩ ؛ انظر ٣١١/٤١ .
(٢٥) رسالة الرضى والتسليم ١٨٢/١٦ .

واستمالهم الى الحاكم . وقرر في نفوسهم التناسخ ، واباح لهم شرب الخمر والزنا ... واقام عندهم يبيح لهم المحظورات الى ان انتهى [٣٢] .

٦ ــ غيبة حمزه الاخيرة

في نهاية سنة ٤١١ هـ ، غاب حمزه بن علي غيبته الاخيرة . وسلّم مقاليد الدعوة الى المقتنى بهاء الدين علي بن احمد الطائي . وكانت غيبة حمزة بعد غيبة الحاكم في ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ . ثم غاب معهما جميع الحدود ، ما عدا بهاء الدين المقتنى الذي عاد الى نشر الدعوة بعد سبع سنين من محنة عليّ الظاهر دجّال الدجاجلة .

وفي اعتقاد الموحدين ان غيبة حمزة كانت امتحانا لهم ولاخلاصهم لدعوة التوحيد ، وهو ما زال موجودا يراسل الدعاة سرّا . وبعد غيبة الحاكم بشهرين ارسل حمزه « رسالة الغيبة » رقم ٣٥ على يد ابي يعلا ، الى الموحدين في بلاد الشام . وكانت الاخيرة من يده .

ثانياً ــ النفس = اسمعيل التميمي

انه الحدّ الثاني من حدود التوحيد الخمسة . هو بمقام « النفس الكلية » التي تشخصت فيه في دور الحاكم ، لقد قلّده حمزه مرتبته التوحيدية ومنزلته الدينية اذ كتب له : « اني نظرت اليك ... فجعلتك خليفتي على سائر الدعاة ... واسميتك بصفوة المستجيبين وكهف الموحدين ... وجعلت لك الامر والنهي على سائر الحدود وتولّي من شئت وتعزل من شئت [٣٣] .

---

(٣٢) النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ١٨٤ .

(٣٣) سجل المجتبى ٢٠٧/٢٠ .

وفي امكنة كثيرة من « رسائل الحكمة » يعتبر اسمعيل في الدرجة الثانية بعد حمزة . وفي الرسائل القليلة التي وضعها اسمعيل يعطي نفسه ذات الالقاب والصفات والمهام التي يضيفها عليه حمزه [٣٤] . ثم يعطينا درجته من حمزه اذ يقول : « أوجدني (قائم الزمان) منه لقوّة ابداعه ومادته وجعلني تاليه وحجته وزوجته ومودع سره وحكمته . وافاض عليّ نوره وبركتـه ... فـانـا النفس ومنزلتي مـن امـام الهدى بمنزلـة القمر مـن الشمس ... » [٣٥] .

لقد وضع اسمعيل في مجموعة الحكمة خمس رسائل من رقم ٣٦ الى ٤٠ في الجزء الثاني منها . غاب مع غيبة حمزه واختفى عن مسرح الاحداث بسبب الاضطهاد ، لقد اقتصر عمله على شرح نظرية حمزةٌ وتقريبها للافهام .

ثالثاً ــ الكلمة = محمد بن وهب القرشي

هو ثالث الحدود الروحانية التوحيدية . انه « الكلمة » في دور العلي الاعلى . وهو « عماد المستجيبين وفخر الموحدين » . مهمته ملاطفة الموحدين وحثّهم على الخدمة ... [٣٦] . لا نعرف عنه انه كتب شيئاً من « رسائل الحكمة » او من سائر الكتب التوحيدية . من توصيات قائم الزمان الى القرشي : « اجمع شمل الموحدين ... ومن رأيت من جميع الحدود والدعاة والمأذونين والنقباء قصّر عن الخدمة ، فابدله بغيره ... أوصهم

---

(٣٤) تقليد المقتنى ٢١٦/٢٢ ؛ ٢٤٠/٣٢ ؛ ٢٨٢/٣٣ ؛ ٢٠٩/٢١ .

(٣٥) الموسومة بالرشد والهداية ٢٨٣/٣٩ .

(٣٦) تقليد الرضى وسفير القدرة ٢٠٩/٢١ .

بحفظ بعضهم بعضا ... ولا يمشي احد منهم الا ومعه شيء من السلاح ... قل الحق ولا تستحي مني ولا تفزع ... لا تخفِ عني جميع ما انت فيه ... » [٣٧] .

رابعاً ـــ السابق = ابو الخير سلامه السامري

القليل الذي نعرفه عنه ورد في « تقليد المقتنى » رقم ٢٢ . وقد يكون عدم ذكر اسمه كثيرا بسبب المهمة السرية الموكولة اليه : « القوة للسابق مستورة مكتومة » [٣٨] . للسامري « اثنعشر حجة لا غير » [٣٩] . ليس له اية رسالة في مجموعة « الحكمة » . وهو « نظام المستجيبين وعزّ الموحدين » .

خامساً ـــ التالي = بهاء الدين المقتنى

بهاء الدين هو بالفعل لسان المؤمنين وسند الموحدين . وقد يكون حمزه اختاره لاجل كونه « صاحب القول المبجل » . لقد كان كاتبا بليغا ، ينمّق الكَلِم ويُحكِم التأليف . وكان سُرَّ حمزه « عند سماع لفظه واحكام تأليفه » . واعتبر ذلك من انعام المولى عليه ... لقد فاح نسيم زهرة عقيدته الصحيحة ، فاستحق علوّ المنزلة ورفيع الدرجة [٤٠] . لقد جعله حمزه في آخر مراتب الحدود بسبب معرفته المتأخرة به . كلّفه باكمال الدعوة التوحيدية واعلانها ووضع رسائل في الحكمة .في الادوار السابقة كان يقوم « النفس »

---

(٣٧) تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١/٢١٠ ـــ ٢١١ .

(٣٨) تقليد المقتنى ٢٢/٢١٥ .

(٣٩) المرجع نفسه ٢٢/٢١٧ .

(٤٠) تقليد المقتنى ٢٢/٢١٤ ـــ ٢١٥ .

مقام « الامام » عند غيبته ، اما في هذا الدور ، فالكل غاب ما عدا « التالي » [٤١] .

وضع حمزه لبهاء الدين جملة موحدين ليكونوا في خدمته وعيّن له ثلاثة حدود يتمسكون به . وعرف اسمعيل التميمي اهمية بهاء الدين ، فاعتبر ان التوحيد لا يقوم فعلا الا به وعليه . وبالفعل لقد حمل عبئ الدعوة بعد غيبة الحدود . وكانت المدة التي تسلم فيها مهامه قاسية جدا بسبب الاضطهاد والتشريد والقتل ، حتى عجز في النهاية عن اكمال الرسالة ، فاغلق ابواب الدعوة الى الابد . وكان ذلك سنة ٤٣٥ هـ/١٠٤٣ م . وقد كتب في ذلك رسالته الاخيرة المسماة « بمنشور الغيبة » رقم ١١١ .

بعد غيبة الحاكم ، بويع لابي الحسن علي بالخلافة ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله [٤٢]. بادر الظاهر الى اضطهاد الموحدين الذين لم يعترفوا به إماماً لهم . فالامامة الفاطمية ، حسب معتقدهم ، انتهت بالحاكم الذي سلّمها في الاول من محرم سنة ٤٠٨ هـ الى حمزة بن علي . لقد استمرّت المحنة من سنة ٤١١ هـ الى ٤١٧ هـ واستمرت دعوة التوحيد معلّقة الى ان تسلم المقتنى كتابا من حمزه يأمره فيه بأستنافها [٤٣] . وكانت اول رسالة كتبها بهاء الدين « الجزء الاول من السبعة اجزاء » وفيها يبشّر بالفرج . وكان امل المقتنى بانتهاء المحنة نابعا من القاعدة الدرزية المعروفة وهي « ان كل شيء اذا بلغ سبعة انتهى ووجب تغييره وحدوث غيره » [٤٤] .

---

(٤١) مختصر البيان في مجرى الزمان ، ورقة ٧٦ أ ـــ ب .

(٤٢) تاريخ الانطاكي ص ٢٣٥ .

(٤٣) عمدة العارفين ١٠٥/٣ .

(٤٤) رسالة الوصايا السبع ٣١٨/٤١ .

واستمرت رسائل بهاء الدين تتوالى من سنة ٤١٧ الى سنة ٤٣٥ هـ ، وهي تتصف بالشمولية والعمق ومتانة الاسلوب وغنى المفردات وصعوبة الرموزات ... انها تفسّر تعاليم حمزه وتشرحها وتغنيها بالصور والامثال . وهي تشير الى اتساع معرفة صاحبها بالاديان والعلوم والصناعات (٤٥) .

خاتمة ــ خونة الدعوة

سبق الكلام على محمد بن اسمعيل الدرزي الملقّب بنشتكين ، اخطر المرتدّين في عهد حمزه بن علي . لقد لقّب بجرامي النهار ، لانه حاول سلب الامامة من قائم الزمان في ايامه . والدروز له لاعنون ومنه متبرئون (٤٦) .

ويلي الدرزي ابو منصور البرذعي الذي حذّر منه حمزه اذ قال : « لم يزل أمر الدعوة جاريا حتى احتال رجل منافق ، واتصل على يد الداعي ، وعرف جميع الحدود وعلومهم ، ثم رجع الى نفاقه ومكره ... » (٤٧) .

وهناك ايضا عبد الرحيم بن الياس الذي عيّنه الحاكم وليّا للعهد ، فقد « ظهرت افعاله وبان للناس قبح باطله ومحاله » (٤٨) وانقلب على الحاكم ، واصبح من ألدّ اعداء الموحّدين .

اما في عهد بهاء الدين المقتنى فقدكان عدد المرتدين كبيرا . وقد كتب

---

(٤٥) انظر الرسائل ٧٢٦/٧٩ ؛ ٧٧٥/٩٢ ــ ٧٧٧ ، ٧٧٨/٩٣ .
(٤٦) انظر الرسائل ٩٣/١٠ ، ١٨٢/١٦ ، ٧٥/٩ ، ٣١١/٤١ ، ٢٠٣/١٩ .
(٤٧) الموسومة بكشف الحقائق ١٣٩/١٣ ، انظر عن البرذعي ١٨١/١٦ .
(٤٨) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي ص ٦٢ ــ ٦٣ .

لكل منهم التوبيخ تلو التوبيخ ونعتهم بأقبح الاوصاف . على رأس هؤلاء « ابن البربرية » الذي نعته بهاء الدين « بالمعتوه والشيطان والنجس والنغل »[٤٩] . ثم « لاحق » الذي شبهه بـ « الحمار والبغل المكدود في الدولاب »[٥٠] . ثم « سُكَين الخائب العاجز »[٥١] اخطر اعداء الدعوة . وغيرهم الكثير ممن نعجز عن تعدادهم .

---

(٤٩) توبيخ ابن البربرية ٦٨٧/٧٦ .

(٥٠) توبيخ لاحق ٦٩٧/٧٧ — ٧٠٤ .

(٥١) توبيخ سكين ٧٠٥/٧٨ — ٧١٩ .



الفصل السادس

موقف الدرزيّة من الأنبياء والأديان كافة

عرض عامّ

للتوحيد غايتان متكاملتان : الواحدة سلبية والاخرى ايجابية . اما السلبية فقوامها كما ورد في « ميثاق وليّ الزمان » البراءة من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها على اصناف اختلافاتها [١] . « كل من لا ينصرف عن سائر الاديان ويدير عنها بالكلّية بعقله ونفسه وفكره وحسّه انصرافا كاملا لم يقدر على الاقبال بالكلية على عبادة الحاكم سبحانه ... » [٢] ومتى تبرأ الموحّد من هذه المذاهب يصح له الوصول الى التوحيد . لقد كان العمل بالمذاهب في دور الستر مقبولا لاجل التوحيد الكامن فيها لا لاجل نفسها . فلما جاء أوان كشفه ، ظهر الامام المنتظر ، قائم الحق ، المؤيّد من ربّ العالمين ... واستغنى بنفسه عن كل المذاهب كاستغناء الحبة عن السنبلة لان الحبّة تحتاج الى السنبلة في اوان نشوئها [٣] .

---

(١) ميثاق ولي الزمان هو الذي يكتبه الدرزي على نفسه عندما « يتسلّم » الدين . رقم ٥ من رسائل الحكمة .

(٢) مخطوط رقم ١٤٣٦ في المكتبة الوطنية بباريس — ٢٢ أ .

(٣) المرجع نفسه ٢٢ أ — ٢٧ أ .

فدعوة التوحيد اذن ، « هي آخر الدعوات ، وهي ناسخة لجميع المذاهب والانتحالات » [٤] .

من هذا المنطلق ، يجدر التوقف على معتقد الدروز في الانبيا والاوصياء والاديان ولا سيّما نظرتهم في محمد وعلي والشريعة الاسلامية .

اولاً — بطلان الانبياء والاوصياء والشرائع كافّة

من آدم الى محمد بن اسمعيل ، مرورا بنوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد بن عبدالله ، وجميع الاسس من هابيل الى ابن القداح ... « لم يقم نبيّ او وصي يدعو دعوة التوحيد الحقيقية . كلهم مقصِرون ومشركون وملحدون وكافرون ، وكلهم شيء واحد في القول والعور مختلفون في الصور » [٥] لان جميعهم « النطقاء (الانبياء) والاسس (الأوصياء) طمسوا معالم التوحيد وخانوا في تأدية أمانته ، ولأن نفسَهم جميعهم من نوح الى محمد بن اسمعيل هو نفس واحدة وهو ابليس اللعين » [٦] . فالانبياء والاوصياء جميعا هم حمير ودواب « الدواب هم النطقاء والاسس ، والحمير دليل على النطقاء » [٧] . لقد انتهت ادوار الانبياء ، « وبطلت دعاويهم لانها تمويهات على الامم ، وغير جائزة الا على اشباه البقر والغنم » [٨] . ان الباري تعالى امر قائم الزمان بان يترك الموحدون كل ما جاء

---

(٤) الرسالة الموسومة باحد وسبعين سؤال ... ٦٤٠/٧٣ .

(٥) السيرة المستقيمة ١٢٢/١٢ .

(٦) تفسير رسالة كشف الحقائق للامير السيد ص ٢٤٥ — ٥٢٤ .

(٧) كتاب فيه حقائق ما يظهر ٩٩/١١ ، ١٠٣ .

(٨) رسالة السفر الى السادة ٥٤٦/٦٨ .

به الانبياء المتقدمون .

اليس واضحا تكفير الانبياء لبعضهم مما يدل على فسادهم ؟ « وقد علم كل ذي لبّ ان اصحاب الشرائع قد قطع كل منهم شريعة من تقدّم قبلـــه ... وقـــد حللوا سبـي بعضهم بعضا وهلاكهم واستئصال شأفتهم » (٩) . ويبدو ان الاختلاف الحاصل بين الامم ، سببه هؤلاء الانبياء « علم كل ذي لبّ ان الاختلاف ليس للامم ، وانما هو لاصحاب الشرائع ، لان كل واحد منهم امر أمته بجهاد الامة الاخرى وقتل بعضهم بعضا » (١٠) .

وبالنتيجة ، ان الانبياء والاوصياء هم ، كما تسميهم « الحكمة » ابالسة الازمان وابالسة الادوار ، وابالسة الدين ، ودجاجلة العصُور (١١) وجاء حمزه قائم الزمان « لتنكيس اعلام الباطل ، وهتك عقائد الملبّسين ، والقاطع لِشِرَعِ الفراعنة والابالسة المكذبين ... الجاحدين » (١٢) .

بسبب ذلك ، يجب على الموحدين ان يتبرأوا من جميع الانبياء والاوصياء ، ويبغضوهم ويمقتوهم لان جميعهم كذبة اردياء . يقول الامير السيد : « اول البراءة منهم بغضهم ومقتهم ... ثم البراءة من افعالهم الرديّة واقوالهم الكاذبة » (١٣) .

أمّا الاديان والمذاهب فقد بطلت دعاويها « لانها تمويهات على الامم

---

(٩) الرسالة الموسومة بالاسرائيلية ٧٢/٦٢٥ .

(١٠) رسالة التبيين والاستدراك ٧١/٦١٣ — ٦١٤ .

(١١) التقريع والبيان ٦٢/٤٨٢ ، ٤٨٤ .

(١٢) القاصعة للفرعون الدعي ٦٤/٤٩٢ .

(١٣) تفسير رسالة كشف الحقائق للامير السيد ، مخطوط ص ٣٤٨ .

وغير جائزة الا على اشباه البقر والغنم » [١٤] .

جميع الاديان والملل والنحل والمذاهب باطلة من اساسها . وعلى قائم الزمان ان يقضي عليها وينقضها بتمامها . وان لم يتمكن منها في هذا الدور من التاريخ ، فانه سيكون له ذلك ، بعون الله ، في نهاية الازمان : « في اليوم الاخير ، اذا تبلّج صبح الليلة الغرّاء ، وانقشع ظلامها ... وتهدّمت اركان النواميس ... عند ذلك تهتز الممالك » [١٥] فيتم ، بالقضاء عليها ، خلاص العالم .

اما الشرائع التي جاء بها الانبياء واحتوتها الاديان فهي فاسدة في طبعها . لما ظهر قائم الزمان ، جعله الباري تعالى « قاطعا لمضلاّت النواميس ، وماحقا الشرائع في اقطار الارض » [١٦] . الشريعة « هي صدف بلا جوهر وجسم بلا روح وجيفة ملقاة لا فائدة فيها » [١٧] . يقول الامير السيد : « ان الشرائع كلها ماتت لما طلعت روحها ، وروحها هي الحكمة التوحيدية التي كانت مدفونة فيها » [١٨] وهذه الشرائع الناموسية الشركيـة ولّت وانقضى زمـانها والشريعـة التوحيـديـة اقبلت واضاء شهابها [١٩] . لذلك لا بد من الخروج منها ومن ظلمتها الى النور والحقيقة وفسيح التوحيد . فلا يمكن لانسان ان يعرف الله وما في الوجود من خير ان

---

(١٤) السفر الى السادة ٦٨/٥٤٥ — ٥٤٦ .

(١٥) الايقاظ والبشارة ٥٦/٤٣٩ .

(١٦) تفسير كشف الحقائق للامير السيد ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

(١٧) تفسير كشف الحقائق ص ٩٣ — ٩٤ .

(١٨) تفسير كشف الحقائق ، ص ٢٢٦ .

(١٩) المرجع نفسه ، ص ٢١١ .

لم يمتنع عن الشرائع كافة .

بعد هذا العرض الشامل لموقف الدرزية من الانبياء والاوصياء والاديان والمذاهب والشرائع سنعرض بالتحديد موقفها من كل ديانة وفقا للتسلسل التاريخي .

ثانياً — اليهودية في العقيدة الدرزية

اليهود بحسب ما تصفهم « الرسالة الموسومة بالاسرائيلية الدامغة لأهل اللدد والجحود ، أعني الكفرة من أهل شريعة اليهود » (٦٢٣/٧٢ — ٦٣٥) ، لم يؤمنوا بمجيء المسيح المنتظر ، الذي هو حمزة ، وقد تكلم عليه اشعيا وارميا وملاخيا وسفر المزامير . فلذلك هم ما « هم عليه من الالحاد والبلس » . لقد قصروا عن معرفة التوحيد ، وما فهموا ما جاء في التوراة من كلام على المسيح الحق ، لذلك يقيم عليهم بهاء الدين المقتنى الحجة ، « ويبين عوار مقالاتهم من أصول متعبداتهم » ويتهمهم بقوله : « وهل لكم حجة في غير التوراة الا بما تكذبوه ، وتصوروه لأنفسكم ، وتختلقوه ! وتموه به رؤساء ضلالتكم على ضعفائكم ويحرفوه ! » .

وتستخف رسائل الحكمة باليهود ، لانهم لم يعرفوا التوحيد الصحيح ، ولانهم كبلوا أنفسهم بعبادة لا تنفع ولا تجدي ، فـ « مبلغ أفهامهم في معرفة التوحيد كمبلغ المضغة من خلق الانسان » [٢٠] .

واذا كان اليهود يعتقدون بثبات شريعة موسى ودوامها ، وانه لا شريعة بعدها ، فعليهم ان يفهموا بان العلة التي أوجبت ارسال موسى بعد نوح

---

(٢٠) ٢٦٣/٣٦ .

وابراهيم توجب ايضا ارسال انبياء بعد موسى [٢١] . فلماذا يعجّزون الله في ارسال الرسل بعد موسى ؟! علماً بان موسى نفسه وعدهم بمجيء أنبياء عديدين بعده . و « اليهود يتحققون من التوراة ان موسى عرفهم وبشرهم بمجيء المسيح عيسى ودلهم عليه ... وقد دلتهم التوراة على ذلك ، ودلهم اشعيا وارميا وحزقيال ... فجحدوا ذلك ، وعموا عنه ، وأنكروه ، وتبرأوا منه ، ففضحهم امليخيا وسفههم ولعنهم » .

وهكذا ، على هذا المنوال ، يذهب بهاء الدين المقتنى الى القول بأننا « ندحض حجة اليهود ، ونبين عوار مقالاتهم ، ونقيم الحجة عليهم من أصول متعبداتهم » ، « ونبين ما هم عليه من الالحاد والبلس من التوراة التي زعموا انهم يتعبدون بأوامرها ونواهيها » ، « فالى أي مذهب ترجعون ، وبأي حجة تحتجون ، وبأي دين تتدينون » . « فانتم ايها اليهود ... في سكرتكم تعمهون » [٢٢] .

« والحق أولى انكم تعرفون انكم تحت غضب الباري الى يوم تعاقبون ، وتحت القهر واداء الجزية والذلة والمسكنة ، وليس لكم رئيس ترجعون اليه ، ولا وزير تتكلون في أمر دين ولا دنيا عليه . فانتم في أحوال الدنيا أذلاء مقهورين ، وبسبب الدين تحت الباري ملعونين » . و « انتم ايها اليهود وجميع الامم قد قامت عليكم حجة الولي المنتظر (أي حمزة) ، وانتم في الاجابة محيّرون ، وعن قليل ترون عين اليقين وتندمون ... وقد بلغت الغرض ، وأديت المفترض » [٢٣] .

---

(٢١) ٧٢/٦٢٥ .

(٢٢) ٧٢/٦٢٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ .

(٢٣) ٧٢/٦٣٤ ، ٦٣٥ .

بهذا الاسلوب العنيف ينقضّ بهاء الدين على اليهود الذين جحدوا الحق ، وضلّوا السبيل ، ويبيّن وهن شريعة موسى وتقصيرها . ويفند اقوال الانبياء الذين «كانوا يشيرون الى توحيد العدم ، ولا يعرفون المولى جل ذكره »[٢٤] .

ومع هذا يبقى اليهود ، بالنسبة الى الدروز ، أقل خطرا من المسيحيين والمسلمين . ويبقى موسى ، رغم ادعائه النبوة ، رجلا ثاقب العقل ، صائب الرأي . سأل الجاهل : « وموسى بن عمران كيف نستقر به انه نبي ؟ وهل هو نبي ام لا » ؟ أجاب العاقل : « انه رجل ذو عقل ثاقب ، ورأيه صائب . أهدى امته بعقله ، لانه كان يطيع كلام مولانا ، ويكتب ما يرده منه ، ويفهم ما هو محرر عندنا ، ويسدق (يصدق) . وكانت أمته تحت امرة مولانا . ولكن ليس هو نبياً ، ولا مختص بالنبوة . **فيجوز اللعنة على أمته أقل من غيرها** »[٢٥] .

وسأل الجاهل أيضا : « كيف يكون بأمته يوم ظهور مولانا » ؟ أجاب العاقل : « ذلك مولانا يجعلهم ضابطين حساباته ، كاتبين عنده ، وبلا نفع . وأكلهم التوت فقط . وحكمنا قد يظهر بجبل سيناء . ويكون موسى مكاري على ألف جمل في خدمة الموحدين . حلّل لنا المولى جماهم ، وزادهم ، **والمجالسة معهم** . ولعنهم مولانا في كل كور ودور . حلّل لنا أكل جماهم في أي يوم نريد نذبحها ونأكلها . وأي يوم نريد نبقيها بخير »[٢٦] .

* * *

---

(٢٤) ٢٦٣/٣٦ .

(٢٥) تعليم الدين الدرزي ، سؤال ١٢١ .

(٢٦) المرجع نفسه ، سؤال ١٢٢ .

ومع هذا يقابل الدروز اليهود ببعض التسامح . فهم يسمحون **بمجالستهم ، وبخدمتهم ، وبالأكل من طعامهم** ، ولا يلعنونهم الا عشرين لعنة . وعذابهم في الآخرة انهم « يبقون تحت العسر والتعب عند الموحدين . ويلبسهم الله طرطورا من جلد خنزير ، طوله ذراع . وفي أذن كل واحد منهم حلقة من الزجاج الأسود بالصيف تحرقه مثل النار ، وبالشتاء تبرده كالثلج »[٢٧] .

ثالثاً ـــ المسيحية في العقيدة الدرزية

كتب بهاء الدين المقتنى ، أحد الحدود الدرزية الخمسة ، ثلاث رسائل تتناول موقف الدروز من المسيح والانجيل والدين المسيحي . الأولى تحمل رقم ٥٣ واسمها « الرسالة الموسومة بالقسطنطينية ، المنفذة الى قسطنطين متملك النصرانية » ، صفحة ٣٨٢ — ٣٩٩ من رسائل الحكمة ، والثانية رقم ٥٤ واسمها « الموسومة بالمسيحية وأم القلائد النسكية وقامعة العقائد الشركية » ، ص ٤٠٠ — ٤١٦ ، والثالثة رقم ٥٥ واسمها « الرسالة الموسومة بالتعقب والافتقاد ، لاداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد » ، ص ٤١٧ — ٤٣٢ ... وهناك أيضا فقرات عديدة في مجمل « رسائل الحكمة » ، وفي « تعليم الدين الدرزي » ، والقواميس الدرزية ، والشروحات الحكمية .

يتوجب علينا ان نعرف أولا أن **المسيح الحق** هو حمزة بن علي قائم الزمان وهادي المستجيبين ، فيما المسيح النصراني هو « المسيح الدعي

---

(٢٧) المرجع نفسه ، سؤال ٢١ .

الملعون ، المسيح الكذاب والشقي المعتوه المرتاب »[٢٨] وهو عيسى صاحب الشريعة المسيحية الابليسية[٢٩] ، أما يسوع الذي هو المسيح الحق كان « من جملة تلاميذ عيسى ، وكان ينطق بالانجيل ، وكان يعلم عيسى ويقول له : إعمل ما هو كذا وكذا ... وكان يسمع منه كل قوله . ولما خالف قول المسيح الحق ألقى في قلب اليهود بغضته فصلبوه »[٣٠] . والمسيح الحق هو « المسيح الحي الذي لا يموت ، وهو حمزة عبد مولانا الحاكم »[٣١] الذي « قام من القبر ودخل على التلاميذ والأبواب مغلقة »[٣٢] .

وعلينا أن نعرف ثانياً أن **الانجيل** الذي وضعه الانجيليون الأربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، هو من وحي المسيح الحق « الذي هو سلمان الفارسي في دور محمد ، وهو حمزة بن علي » في دور الحاكم . وتعاليم الانجيل كلها سدق (أي صدق) ، جاء بها المسيح الحق ، وهي تتكلم عليه ، وتصف حاله ، وتبين أفعاله ... الا أن المسيحيين لم يستطيعوا فهمها ، ولم يعرفوا مدلولها . لقد غفلوا عما ترمز اليه ، وقصّروا عن فهمها الحقيقي ، وعن تأويل معانيها الباطنية ، وتخلفوا عن مضمونها الصحيح الذي يرمز أولا وآخرا الى حمزة بن علي[٣٤] . وقد قصد بهاء الدين في الرسالة ٥٣ ، لا الرد على

---

(٢٨) ٥٤/٤٠٩ .
(٢٩) الدر المضية ، لفظة : عيسى .
(٣٠) تعليم الدين الدرزي ، سؤال ٨٨ .
(٣١) المرجع نفسه ، سؤال ٩٢ .
(٣٢) المرجع نفسه .
(٣٣) المرجع نفسه ، سؤال ٨٧ .
(٣٤) ٥٣/٣٨٤ .

المسيحيين ، بل لـ « يعرفهم ، من نصوص الانجيل ، الزلل الذي ارتكبوه » في تفسيرهم المغلوط (٣٥) .

أما **الانجيليون** الأربعة فيوحنا ، وممثوله في الدرزية النفس أي اسمعيل التميمي ، ومرقس وممثوله الكلمة أي محمد القرشي ، ومتى وممثوله السابق أي أبو الخير سلامه ، ولوقا وممثوله بهاء الدين المقتنى . هؤلاء « كانوا يبشرون بقدوم المسيح الحق » (٣٦) . هؤلاء أيضاً ، مع العقل الذي هو حمزة ، هم حدود الدعوة التوحيدية المكنى عنهم في الانجيل بـ « العذارى الحليمات الخمس » ، فيما العذارى الجاهلات الخمس يمثلن حدود الشريعة التكليفية الابليسية ، وهم : ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ، الذين نطقوا بالكفر والجهالة .

والمسيحيون ، على ما يبدو ، لم يفهموا من الانجيل شيئاً بل لم يدركوا أن كل ما جاء فيه انما يعني حمزة مباشرة ، ولكنهم ، لجهلهم ، قصروا عن كنه مدلولاته ، وتخلّفوا عما يجب أن يؤمنوا به ، لذلك اتهمهم بهاء الدين بقوله : ان « شرعة ايمانكم تشهد عليكم بالغفلة والتقصير ، وتسمكم بسمة أهل التخلف والتعذير ، وهي التي اجتمع عليها رؤساء النصرانية » (٣٧) . ولهذا السبب هم « صم عمي » ، وفسقة مدّعون ، وأنجاس كاذبون معتدّون ، وظلمة عادون ، ومرقة فاسقون مفترون ، وجماعة الخيبة ، عبيد السوء ، حيارى سكارى ، غلف القلوب ، حملة الذنوب والخطايا ...

---

(٣٥) ٣٩٢/٥٣ .

(٣٦) تعليم الدين الدرزي ، سؤال ٥٣ .

(٣٧) ٣٨٥/٥٣ .

ثم يتوجه اليهم بهاء الدين بقوله ، وبأسلوب فظ مهين ، « الى جميع فرق النصرانية ، النجسة الطاغية ، والأمة المنكرة الفاسقة الباغية ، الدعيّة الكاذبة الخاطية ، القريبة المدة والأجل ، المؤاخذة بسوء العقيدة وخبيث العمل ، المقطوعة الأصل والأمل ، الممنوعة من البقاء والمهل »[٣٨] ، ثم يخاطبهم بقوله : « يا أيتها الأمة الهالكة ، لجهلها وعصيانها ، والفرقة الخائبة لغفلتها ونسيانها ، اللاهية عن معموديتها وقربانها » ، « انتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء أولئك الذين قتلوا الأنبياء (اشارة الى متى ٣٢/٢٣) وأنتم مقيمون على صنعة أبائكم أيها الثعابين ، وأنتم أولاد الأفاعي »[٣٩] .

وسبب هذا التهجم الهجين اللئيم هو ان المسيحيين ، برأي بهاء الدين ، لم يفهموا مقصود الانجيل الـ « مبني على حكمة الهية ، باطنها دليل دين التوحيد »[٤٠] . على هذا كان على المسيحيين أن يفهموا ، مثلا ، قول الانجيل : « من مصر دعوت ابني » (متى ١٥/٢) انما هو يقصد حمزة ابن علي أيام الحاكم[٤١] ، وأن يفهموا بـ « المذبح » حيث تذبح فيه عقائد النواميس ، ونحل المشركين » ، وأن يفهموا بـ « البيعة ميثاق من استجاب الى دعوة التوحيد التي هي الكلمة المتحدة بالسيد المسيح الذي هو حمزة » ، وأن يفهموا بقول الانجيل « ليس لأحد يعمل شيئاً سرا . فأظهر نفسك للعالم » (يوحنا ٤/٧) ، انما يعني ذلك « ان وقت حمزة بن علي

---

(٣٨) ٤١٨/٥٥ .

(٣٩) ٤١٨/٥٥ و ٤٢٠ .

(٤٠) تعليم .. سؤال ٢٩ .

(٤١) ٤١٩/٥٥ .

المسيح الحق عرف تلاميذه ان وقته الذي يشهر فيه كلمة التوحيد لم يتم ولم يبلغ . أما وقتهم (أي وقت تلاميذه) الذي لم يعرفوا فيه كلمة التوحيد فمهيأ في كل حين » ، وأن يفهموا بقول المسيح « ينبغي لي أن أعمل أعمال من أرسلني ما دام النهار ، فانه سيأتي الليل الذي لا يستطيع الانسان فيه العمل » (يوحنا ٤/٩) ، يعني ذلك ان « شريعة الأنبياء مثلها مثل الليل المظلم الذي لا نور فيه . اما دعوة حمزة المسيح الحق الى النهار فهي دعوة التوحيد »[٤٢] . وهكذا ...

ومثل المسيحيين في فهمهم الملتوي لنصوص حكمة الانجيل كمثل حيوان بهيم في بلهه وعماه . قال عنهم بهاء الدين : « فمثلكم أيها الفسقة في الصمم والبله والعمى كالبهيمة البهماء » . وهم ، بالتالي ، « صم عن سماع السدق » ، و« أشباح بلا أرواح لبلههم . يستحسنون البلادة والجهل ، ويستهجنون الفضل والعقل » . ويتحمل رؤساؤهم مسؤولية ما لفقوه لهم من نواميس كاذبة[٤٣] .

لهذا السبب آن لدولة المسيحيين المؤسسة على الباطل أن تبطل ، وحان لشريعتهم أن تنحل . قال بهاء الدين : « قد آن لأيامكم الانقراض والانصرام . ولكم الاجتثاث (الاقتلاع) بما ارتكبتموه والانتقام » . و« آن اضمحلال الباطل وتلاشيه ... وقد حان الانقراض لدولتكم أيها الظلمة ، واستئصال شأفتكم لكفركم وفسقكم » . ها « قد عصفت بكم على يده (يد حمزة) أرياح الفناء والوبال ، وأذنت دولتكم بالبوار

---

(٤٢) ٣٩٨/٥٣ ؛ ٤١٩/٥٥ ...
(٤٣) ٤٠٢/٥٥ و٤٠٣ .

والزوال ، وتهدمت أركان شريعتكم بالنقض والانحلال ، المؤسسة على التدليس والسخرية المكذوبة »[٤٤] .

وفي الآخرة ، سيأتي حمزة ، ويضرب المسيحيين ضربة قاضية ، هم الذين « اغتروا بالظفر بأجناد الشام » ، وأذاقوا الدروز مر العذاب ، وأجبروهم « بالصبر على المحن أفواجاً أفواجاً » ... « سيحل بهم الذل الشامل ، والسيف الصارم القاتل . وتطأهم بأخمصتها كتائب الملك المظفر المسعود (حمزة) ، ويرجعون الى لبس الغيار ، ويكونون بلا رئيس كالمجوس واليهود » هذا معنى قوله في الانجيل « انه مزمع أن يأتي في مجد أبيه ليجزي كل امرىء بحسب عمله »[٤٥] .

بهذا المعنى سأل الجاهل : « ما يحدث بأمة عيسى حين يسألهم مولانا حمزة » في يوم الحساب العسير؟ يجيب العاقل : « انهم يكونون بحالة يرثى لها ، لأنه يجعل طرف كمه الأيسر مصبوغاً رصاصياً . ويكونون حفاة عرايا . يدقّون حطباً على ظهورهم الى الأفران والحمامات تبع مولانا . ويكون في أذن كل واحد منهم حلقة سوداء : ناراً تحرقه في الصيف ، وثلجاً تبرده في الشتاء . وتكون جباية كل منهم أربعون دينار سنوياً »[٤٦]. يعني ان الدرزي سيدفع للنصراني ، أجرة خدمته ، أربعين دينارا في السنة ، فيما يدفع للمسلم عشرين فقط .

رغم كل هذه الشتائم المنهالة على المسيحيين ، ورغم ان دولتهم ستباد

---

(٤٤) ٥٤/٤٠٩ ؛ ٥٥/٤١٨ .

(٤٥) ٥٥/٤٢٢ و ٤٢٣ .

(٤٦) تعليم الدين الدرزي ، سؤال ١١٨ .

ويقضي عليهم في النهاية ، يعترف الدروز بأن « الانجيل حق من قول المسيح الحق » ، وانه « مبني على حكمة الهية » ، فيما القرآن كلام زور وبهتان . ولكن من حيث ان الدروز يلزمهم الاستتار بدين الاسلام ، حلل لهم الاقرار به ، كما حلل لهم القيام بصلاة المسلمين [٤٧] . بسبب هذا يطيب للدروز السكنى مع المسيحيين ، والاطمئنان اليهم ، كما يطيب لهم ، على ما ذكرناه ، مجالسة اليهود ومشاركتهم الطعام . الأمر الذي لا يكون مع المسلمين اطلاقاً .

رابعاً ــ الاسلام في العقيدة الدرزية

او

بين العقل والنبي

١ ــ اهل الظاهر والباطن والتوحيد

في الحكمة الدرزية « الناس ثلاثة اجناس : فأهل الظاهر يقال لهم مسلمون واهل الباطن يقال لهم مؤمنون ، واهل قائم الزمان يقال لهم موحدون » [٤٨] . وورد في مكان آخر : « الاسلام باب الايمان ، والايمان باب التوحيد ، لان التوحيد هو النهاية الذي لا شيء اعلى منه » [٤٩] . وهكذا ينقسم الناس في عصرنا الحاضر الى ثلاثة اجناس او ثلاثة اديان :

---

(٤٧) المرجع نفسه ، سؤال ٨٧ و ٢٩ و ٣٠ .

(٤٨) رسالة الشمعة ٢٧٩/٣٨ .

(٤٩) البلاغ والنهاية ٧٤/٩ ــ ٧٥ .

١ — اهل الظاهر ، سمّوا كذلك لانهم يعتمدون على ما جاء في القرآن على ظاهره ، اي دون تأويل او اجتهاد في فهم حقيقته . هم اذن « اهل السنّة » ، واكثر ما تسميهم رسائل الحكمة « النواصب » الذين ناصبوا العداء والشتم لعلي بن ابي طالب .

٢ — اهل الباطن ، سمّوا كذلك لانهم يعتمدون على باطن الحقيقة المتضمنة في القرآن . وسمّوا ايضا اهل التأويل لانهم يؤوّلون ويجتهدون في نقل المعاني الظاهرة في الآيات القرآنية الى معانٍ مجازية حقيقية . وقلما يسمّون بـ « الشيعة » بل يغلب عليهم ، في الحكمة اسم « التاويلية » ، و « الروافض » .

٣ — اهل التوحيد ، او الموحدون ، او « اهل المعرفة » او « الاعراف » او « بنو معروف » . اما اسمهم المعروف في التاريخ وهو « الدروز » فلا اثر له اطلاقا في الحكمة .

وتنطلق رسائل الحكمة في وصف الظاهر والباطن ، وتدعو الى التخلّص منهما نهائيا ، فتقول ان مولانا « اسقط الظاهر كما اسقط الباطن ، اذ جعلهما في الحد سواء فنظرنا الى من يخلصنا من الشريعتين سريعا ويدخلنا جنّة النعيم التي هي دعوة القائم قائم الزمان »(٥٠) ثم تصمهما معا بهذه التعابير : « الجور والظلم الشريعتان اللذان هما العدم والتشبيه »(٥١) ، « البول والغائط هما علم الظاهر والباطن »(٥٢) . الكفر والشرك هما الظاهر

(٥٠) الوصايا للموحدين ٣١٧/٤١ .
(٥١) تفسير كشف الحقائق ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، الرضى والتسليم ١٣٨/١٦ .
(٥٢) النقض الخفي ٦٠/٦ ، كتاب فيه حقائق ١٠٩/١١ .

والباطن » [٥٣] . وابرز دليل على فسادهما تكفير اصحابهما بعضهم بعضا : « اهل الظاهر واهل الباطن كاذبان لا نجاة فيهما ، بل النجاة في الحكمة الاخرى التي هي توحيد الحاكم جلّ جلاله » [٥٤] .

في الحكمة اشارات واضحة الى ان تصرفات الحاكم الشاذة الغريبة واحكامه المتناقضة ، وما قام به من قتل وظلم وعزل وسجن وهزل وجد وزهد وجماع ، كلها تفسر وتعني نقض الاسلام وابطال شريعته . « بلوغه (مولانا) الى القصور ، وهما قصران عظيمان خرابان ، دليل على بطلان الشريعتين وخرابهما » [٥٥] . قتله لرجلين ، دليل على قتل الناطق (محمد) والاساس (علي) وتعطيل الشريعتين ، التنزيل والتأويل [٥٦] . لذلك ، « لا يجوز استقبال قائم الزمان وطاعته الا بعد الطهارة الخالصة من الشريعتين الشركية والكفرية » [٥٧] .

على الموحدين اذن اتباع قائم الزمان الذي عرّف عن نفسه بقوله : « انا صاحب المنزلتين ومبيد الشريعتين » [٥٨] .

٢ ــ بطلان محمد وشريعة الظاهر

كل ما في « الحكمة » يثبت ان محمدا هو معدن الكذب والدجل ، وان

---

(٥٣) كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا ١١/١٠٦ .

(٥٤) تفسير رسالة كشف الحقائق ص ٢٥١ .

(٥٥) كتاب فيه حقائق ١١/١٠٢ .

(٥٦) كتاب فيه حقائق ١١/١٠٩ .

(٥٧) تفسير كشف الحقائق ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

(٥٨) الاعذار والانذار ٣٤/٢٤٨ .

قائم الزمان جاء بالسدق والمعرفة . لقد قضي على دور محمد بظهور الدعوة التوحيدية ، ونسخت الى الابد شريعته الفاسدة .

ان محمدا ، حسب الرسائل المقدسة ، « هو الابليس الاعظم ... الذي نفث سمّ نجسه في انياب شيعته »[٥٩] هو « ابليس الرجيم ، ابليس اللعين »[٦٠] و « دجال العرب »[٦١] هو الابليس الذي « ادعى الوحي من الله ثم رجع فنقض الوحي الذي زعم انه اوحي اليه ، فتناقضت اقواله وصارت افعاله هرجا »[٦٢] . وتمضي الرسائل في كشف تناقضات تعاليم محمد ، وتفنّد اكاذيب القرآن . قال محمد في ما قال : « انه أسري به في ليلة واحدة من مكة الى بيت المقدس وانه عرّج به الى السماء السابعة ، وانه جالس الملائكة ، وسمع نداء الرب . ولم يكن له دين ، ولا رعة يزجراه عمّا لفّق من الزور والكذب »[٦٣] . هذا الذي « اضلّ العوالم » لكثرة مثالبه وخداعه[٦٤] . اما جمال الدين التنوخي فيبزّ في هجومه بهاء الدين اذ يقول : « ان ممثولهُ (اي ممثول إبليس) الذي هو محمد ابن عبدالله ... لم يظهر اشد منه عتوّا ولا اصرم سيفا ولا اقوى كذبا ولا اعظم رغبة في نسوان وشهوات بهيمية ... »[٦٥] .

---

(٥٩) رسالة اليمن ٤٧٠/٦٠ .

(٦٠) تأديب الولد العاق ٤٤١/٥٦ . ٤٤٢/٥٧ .

(٦١) رسالة التقريع والبيان ٤٨٥/٦٢ .

(٦٢) رسالة التبيين والاستدراك ٦٠٨/٧١ . ٦٠٩/٧١ — ٦١٠ .

(٦٣) رسالة التبيين والاستدراك ٦١٨/٧١ . أنظر هذه الرسالة بكاملها . وأنظر الشروحات عليها في « سلسلة الاديان السريّة » هذه . رقم ٣ . مع ترجمتها الى الفرنسية .

(٦٤) ٦٢٢/٧١ .

(٦٥) تفسير كشف الحقائق للامير السيد . ص ٧٤٥ .

وفساد محمد ملازم لفساد شريعته اذ « اظهر تكاليف ناموسية شركية ، واباح محرمات ، وحرّم محلّلات ما في بعضها الهلاك الكلي »[٦٦] . وتصف الدرزية شريعة محمد بالزنا وتعتبر صاحبها ابن زنا ، أو « ابليس » لان ابليس هو من « أب ليس » اي من ليس له أب . وفي شريعة محمد فروع كثيرة فاسدة وتعاليم مضلّلة تعمي قلوب من سلكها : منها اسراء محمد ... وهذا كفر وفسوق ... ومنها ان الانسان اذا اشترى الف جارية فيحلّ له وطء جميعهن ... ومنها ان الانسان اذا اجترأ على القتل والزنا وجميع المحرمات حتى بلغ ثمانين سنة على هذه الحالة ، ثم تاب يوما واحدا كان كيوم ولدته امه ولا عقاب عليه ... ثم ان كل ما جاء به محمد من خوارق ومعجزات هو كذب وتدجيل : فشريعته « مشحونة بذكره ونبوّته المجازية بما فيها من الكذب القبيح ، كدلالته على انه عرّج الى السماء ، وان الماء نبع من بين اصابعه ، وان الغزالة سلمت عليه ، وان البعير قبّل يديه ، وما شاكل ذلك من الكذب المعظم »[٦٧] .

اما القرآن فحشو بالكذب والتدجيل . فهو ، بنظر محمد ، كلام الله ، منزل عليه ، غير مخلوق ... كل هذا فاسد من اساسه ، والقائلون به ضالّون مضلّون . ويدعوهم بهاء الدين اهل بله وتدليس[٦٨] .

اما المسلمون فهم الذين استعبدهم الابليس الاعظم (اي النبي محمد)[٦٩] فيؤلفون حزبه وعصبته . فهم حزب الدجال ... الطغاة

---

(٦٦) تفسير كشف الحقائق ، ص ٢٢٤ .

(٦٧) تفسير كشف الحقائق ، ص ٧٥٤ — ٧٥٥ .

(٦٨) رسالة التبيين والاستدراك ٦٢١/٧١ .

(٦٩) رسالة اليمن ٤٧٠/٦٠ .

الفسقة ... البهائم المهملون ... حزب الضلال ... الخونة الذين اضرموا نار الفتن على الموحدين »[٧٠] . يخاطبهم بهاء الدين زاجرا : « تنبهوا يا اهل البلس والضلال والعمى ... فقد افل شمس الدجال الاعور (محمد) وقمره (علي) في المحاق ، وتضاءلت نجومه (الخلفاء) عن مطالعها ... وتزلزلت ارضه بالخسف (مكة) وأذنت سماؤه (ديانته) بالهبوط والانشقاق ، لزهرة شمس الحقائق (حمزة) »[٧١] .

وتتوالى النعوت والاوصاف الشديدة القسوة على المسلمين : فهم اهل الشطن ... اجلاف الامم ... العصبة الجاحدة العمية عن الحق ... اوباش الامم وعكورات هذا الخلق[٧٢] . هم اهل الغدر والنكث ... كدر الامم وعبدة العجل والصنم ... واشباه البقر والغنم ... اولاد البغايا العواهر ... أئمة الجور الفسقة الفجّار ...[٧٣] وهكذا ليس للمسلمين عامة من فضيلة ، كل ما عندهم من مواد ابليس اللعين .

مجمل القول ، « ان العقل بالحق يشهد ان الاكثر من أمة محمد هم ابله من الحمار والبغل ، فكيف يكونوا شهداء على الناس »[٧٤] كما ان شريعة محمد قد تقضّت أيامها وانحلّ نظامها[٧٥] ، وان اله المسلمين هو عدم لانه لم يظهر مرة واحدة لعباده ولم يأنسهم ويعرّفهم بنفسه[٧٦]

(٧٠) رسالة تمييز الموحدين الطائعين ٥١١/٦٦ — ٥١٥ .

(٧١) الايقاظ والبشارة ٤٣٧/٥٦ .

(٧٢) الحقائق والانذار ٤٤٤/٥٧ — ٤٤٥ .

(٧٣) التقريع والبيان ٤٨٥/٦٢ .

(٧٤) رسالة التبيين والاستدراك ٦١١/٧١ .

(٧٥) رسالة القسطنطينية ٣٨٩/٥٣ .

(٧٦) من دون قائم الزمان ٥٣٤/٦٧ .

واخيرا ، ان محمدا الناطق — لعنه الله — اصل لجميع المعاصي والاخلاق الفاسدة وان « العجل » هو « الضد » ، والضد الاعظم في ايامنا هذه ، هو « محمد » . وممثول محمد في ايام الحاكم كان الدّرزي . والدرزي هو الضدّ والعجل والخنزير والغطريس ، بحسب أوصاف الحكمة .

٣ — بطلان علي وشريعة الباطن

ليست منزلة علي بن ابي طالب بأفضل من منزلة محمد بن عبدالله . كلاهما متساويان في الشر والفساد . شريعة علي هي « الشرك » بعينه ، كما شريعة محمد هي « الكفر » بعينه. وكل ما يصدر عنهما من علوم هو « سمّ قاتل » [٧٧] .

ماذا يكون اذن من شأن علي واتباعه وشريعته الباطنية ، بعدما كان شأن محمد والمسلمين وشريعة الظاهر الكفر والضلال ؟ الحقيقة تنال من « الحكمة » والحكمة تقول : « ان عليا زوجة ابليس اللعين محمد بن عبدالله هو انجس الخلق بعد محمد » [٧٨] . فالاساس (علي) معين الناطق (محمد) على جميع مفاسده ، لعنه الله [٧٩] .

وقد تكون شريعة علي الباطنية اخطر على الموحدين من شريعة محمد ، لان غايتها في تأليه علي ، تلامس عقيدة اهل التوحيد في تأليه الحاكم . ان اتباع علي ينقلون عنه قوله : « انا الله رب العالمين » . بسبب هذا الاعتقاد الفاسد ، سمّيت شريعة علي « بالشرك » ، الذي هو اخطر من الكفر

---

(٧٧) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٣٩ ورقة ٢٥ ب .

(٧٨) تفسير كشف الحقائق للامير السيد التنوخي ص ٧٣ .

(٧٩) المرجع نفسه ص ٣٦ .

والتلحيد ، لانه يعمل في السر ، ويبدّل الحقائق . والخطر الكبير يكمن في سهولة الخلط بين اوصاف علي بن ابي طالب واوصاف المولى الحاكم . من اجل ذلك يجب الحذر والحيطة ، ولاجل ذلك تكون الباطنية التأويلية ، لعنة الله عليهم ، على الموحدين شرا مستطيرا [٨٠] . ومن مآخذ الموحدين الكثيرة على شريعة علي ، ما يسمّى بزواج المتعة ؛ يدين الامير السيد هذا الزواج بقوله : « فهذا زنا صريح ، وهو ثابت في شريعة الاساس (علي) الى الان » [٨١] .

بهذه الصورة البالغة القساوة يحكم الموحدون على علي وشيعته وشريعته الشركية الفاسدة المضلة . « ويوم يحين زمن المعاد الاخير لن يبقى من اهل التأويل واحد امام جبروت قائم الزمان » [٨٢] .

٤ ــ نقض دعائم الاسلام كافة

ورد في الحكمة : « ولا تستحسنوا الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن . ومن جملة الخبائث الدعائم السبعة الذين هم : الشهادتان والزكاة والصلاة والصوم والحج والجهاد والولاية » [٨٣] . هذه الفواحش والخبائث نقضها الموحدون واحدة فواحدة ، وألّف قائم الزمان في نقضها رسالة سماها : « الكتاب المعروف بالنقض الخفي » [٨٤] .

١ ــ نقض الشهادتين : « لا اله الا الله / محمد رسول الله » . انها

---

(٨٠) المرجع نفسه ص ٣٣٠ .

(٨١) المرجع نفسه ص ٧٢٦ ــ ٧٢٧ ؛ انظر : ٦٠٩/٧١ .

(٨٢) السيرة المستقيمة ١٢٤/١٢ .

(٨٣) تفسير كشف الحقائق ص ١٨٤ مخطوط ١٤٤٠ ورقة ٧٩ أ .

(٨٤) كتاب النقض الخفي ، رقم ٦ من الجزء الاول ص ٤٩ ــ ٦٣ .

تعني عند الموحدين غير ما تعنيه عند المسلمين . « لا اله / الا الله » كلمتان ، سلبية وايجابية ، تدلاّن على « العقل والنفس » . اما الشهادة الثانية « محمد رسول الله » فلها ايضا مدلولات : فهي ثلاث كلمات تدل على حدود التوحيد الثلاثة : الكلمة والسابق والتالي.فالمقصود التوحيدي اذن من هاتين الشهادتين يختلف عن مقصود المسلمين . ولئن قالها الدروز ، فهي ترمز عندهم الى بطلان محمد والاسلام والمسلمين كافة .

٢ ـــ نقض الصلاة : يأمر القرآن باقامة الصلاة في خمسة اوقات ويقول : من ترك صلاته ثلاثا متعمدًا فقد كفر . اما عند الموحدين ، فالاوقات الخمسة تعني الحدود الخمسة : العقل والنفس والكلمة والسابق والتالي . والصلاة ، بمعنييها الظاهر والباطن هي « صلة قلوبكم بتوحيد مولانا » .

٣ ـــ نقض الزكاة : « لقد بطّل (مولانا) باطن الزكاة وظاهرها . انها في الحقيقة توحيد مولانا وتزكية قلوبكم وتطهيرها » .

٤ ـــ اما الصوم المفروض على المسلمين فهو ، عند الموحدين ، صوم عن شريعة الظاهر (الاكل) وعن شريعة الباطن (الشرب) . « وهو صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا جلّ ذكره » .

٥ ـــ نقض الحج : جاء في القرآن : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلا » [٨٥] . الا ان الدروز شاهدوا داخل الكعبة السرقة والنهب . وكل ما يقوم به المسلمون من « شروط الحج هو ضرب من ضروب

---

(٨٥) سورة آل عمران ٣/١٧ .

الجنون » [٨٦] .

٦ ــ نقض الجهاد : بالجهاد « قام محمد واظهر الاسلام ، وجعله فرضا على المسلمين كافة » . اما عند بني معروف ، فالجهاد الحقيقي هو « الطلبة والجهد في توحيد مولانا ومعرفته » .

٧ ــ نقض الولاية : قال القرآن : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » [٨٧] وقال اهل الظاهر وسائر المسلمين بأن الولاية لابي بكر وعمر وعثمان وعلي ، « وقد نقضها مولانا ، جلّ ذكره ، وكتب لعنة الاولين والآخرين على كل باب ونبّشهم من قبورهم » [٨٨] . واصبحت الولاية الحقّة لقائم الزمان .

هكذا ، قضى دين التوحيد على كل ما يقوم عليه الاسلام ، فدكّ اركانه ، وأبطل تعاليمه ، وطعن بنبوّة محمد وبامامة علي ، واوّلَ آيات القرآن بما يوافق مبادئه ، واعتبر ان كل ما ورد في كتاب المسلمين يشير الى دعوة التوحيد والى قائم الزمان وحدود الدعوة . ولئن سمعنا الموحدين يتلون آيات قرآنية ، فقصدهم مخالف تماما لقصد المسلمين . انهم يصلّون على محمد جهراً ويذكرون اسمه الطيب على مسامع الناس ، ثم يدمومون في سرّهم : « لعن الله من ذكرنا » ، او « يتنحنحون عند ذكره » [٨٩] .

---

(٨٦) النقض الخفي ٥٩/٦ ــ ٦٠ .

(٨٧) سورة قريش ٤/١٠٦ ــ ٥ .

(٨٨) النقض الخفي ٦١/٦ ــ ٦٣ .

(٨٩) سؤال ١٠٢ من تعاليم الديانة الدرزية .

٥ — مصير مكة وبيت الكعبة

لقد نقض الموحدون الاسلام باصوله وفروعه . محمد هو الابليس الاعظم ، والاسلام شريعة ابليسية ، وعجائب محمد كذب وتدجيل ، ودعائم الدين فواحش وخبائث ، وعلي بن ابي طالب انجس خلق الله بعد محمد ... والآن ، ما هو امر مكة محجة المسلمين ، والحجر الاسود قبلة المؤمنين ؟ الجواب يؤديه حمزة : « الحذر الحذر من الاقاويل الشركية والافعال الكفرية . لا تركنوا الى بيت خراب ، ولا تجلسوا تحت ركن معاب ... فتهلكوا عن بكرة ابيكم بالجوع المدام والعطش التمام »(٩٠) . وبهاء الدين يعجب « من قوم قطعوا المفاوز ... الى حجر اسود وبيت جلمد ليس فيه حياة ولا نطق ... هل فعلهم الا كفعل النصارى في الصليب ؟ بل هم اشد عتوا ، لان الصليب موجود في كل البلاد ، والحجر الاسود يسافر اليه اهل الضلالة من جميع العباد »(٩١) .

اما مصير مكة في نهاية الازمنة ، فسيكون الهدم على رؤوس حجيجها ، وسيهزم المسلمون كافة امام قائم الزمان «كالبهائم والغنم ، وستهلك مقطرة الكفر اعني مكة »(٩٢) . وستهدم أسوار « دار الفاسقين ، ومقيل الأبالسة والشياطين »(٩٣) . وستدور « رحى الخسف بديار

---

(٩٠) رسالة البلاغ والنهاية ٨١/٩ .

(٩١) من دون قائم الزمان ٥٣٣/٦٧ .

(٩٢) رسالة الى اهل اليمن ٤٧٢/٦٠ ؛ ٤٨٩/٦٣ .

(٩٣) ٥١٧/٦٦ ؛ ٤٩٣/٦٤ ؛ ٤٣٧/٥٦ بكاملها .

الانجاس »^(٩٤) . وستبور « ارض الطغاة »^(٩٥) . يومها ، سيكون النصر والغلبة للموحدين ، وترفع راية قائم الزمان فوق الجبال ، وينتهي العالم ، ويرتوي غليل ابناء حمزة « بأخذ الثأر لدماء الموحدين المظلومين »^(٩٦) اليكم ما تقوله الحكمة : « قد أفل شمس الدجّال الاعور (محمد) وقمره (علي) ... وتزلزلت ارضه (مكة) بالخسف ... اذا طلعت رايات الملك المظفّر المسعود (حمزه) من الفجّ العميق ... فانتبهوا ايها الغفلة المكذبون (المسلمون) »^(٩٧) .

وتصف رسائل الحكمة الموحدين الدروز بـ « المرتقبين لهدم دار الفاسقين (مكة) في ظلّ رايات حقّه وبنوده (اي حمزه) ... »^(٩٨) .

— موقف دروز اليوم من الاسلام

ان موقف الدروز المعاصرين من الاسلام والمسلمين ، لمثير للدهشة والغرابة . فالكتب الدرزية المعاصرة مشحونة بالمغالطات حول هذا الموضوع . ان الدروز لا يفتأون يعلنون انتماءهم الى الاسلام ويفاخرون بذلك . وفي ثنايا الكتب الدرزية المعاصرة محاولات كثيرة لتبرئة الدروز من تهمة المروق عن الاسلام ، وذلك تبعا لمبدأ « التقية » التي ليست كتمانا للحقيقة فحسب ، بل هي تمويه وتضليل . وقد تبعهم في هذه المحاولة بعض المسلمين .

---

(٩٤) ٤٨٣/٦٢ .

(٩٥) ٥١١/٦٦ .

(٩٦) تمييز الموحدين ٥١١/٦٦ .

(٩٧) رسالة الايقاظ والبشارة ٤٣٧/٥٦ — ٤٤٠ .

(٩٨) ٤٩٣/٦٤ .

فها هو الدكتور محمد علي الزعبي في كتابه « الدروز ، ظاهرهم وباطنهم » ، يصرّح قائلا : « ان النحلة المتفرعة من دين ما لا تسمّى دينا ، بل مذهبا ، فالعلوية والدرزية مثلا ، مذهبان من مذاهب الاسلام ، لا دينان » . ويتأوه الدكتور لجور التاريخ وكذبه فيقول : « آه ما اكذب التاريخ الذي يدوّن بقلم السياسة ... اعتنقنا الاسلام منذ بزوغ فجره ، ولا نزال نبذل المهج في سبيله » . ان الموحدين فرع من الشجرة الاسلامية ، وغصن من الارومة العربية ، وان الاكثرية المطلقة من الموحدين حافظت على اركان الاسلام العملية ... بريئة من التآويل الملتوية . ويروح الدكتور يناجي الاسلام : « الاسلام . ما اعظم هذه الكلمة . اما اسمى هذا التوجيه . ان الاسلام صديق العقل السليم وزميل المنطق المستقيم ... وعلينا — نحن الموحدين — المتخذين قدوتنا رسول الله واصحابه الاول الذين لا نزال نفتخر بعصر خلافتهم الذهبي ... » ولا يتردّد الدكتور في نسبة اقوال الى حمزه : « لا خالق ولا معبود الا الله ، لا نبي ولا رسول بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم » . ويتابع الدكتور قائلا بأن حمزه كان لا يبرح « يسهر على القيام باركان الاسلام ، وان ايمان المسلم على مقدار تمسّكه بهذه الاركان هذا هو الفهم الكامل الذي يطلبه حمزه من مسلمي وادي التيم وغيرهم »[٩٩] .

وهناك ايضاً حافظ ابو مصلح الذي يردّد في كتابه « واقع الدروز » . « ان الدروز ينظرون الى المسلمين كاخوان لهم ... وكان الدروز بالرغم من كل الافتراءات التي كان يلقيها عليهم المسلمون الجاهلون لا يتنكرون

---

(٩٩) محمد علي الزعبي ، الدروز ظاهرهم وباطنهم ، ص ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٣٠ و ٥٤ ...

للاسلام ، ولا يحاولون المساس به »[١٠٠] .

واعجب ما في الامر ان يقع السفير عبدالله النجار ، بعد عرضه الشيّق للعقيدة الدرزية ، في خطأ مشابه اذ يقول : « ان مذهب التوحيد يوصي بممارسة الفرائض القرآنية »[١٠١] .

اما خطر المغالطات فتأتي من المسلمين الاكثر معرفة بالدرزية . هؤلاء قرأوا رسائل الحكمة وكتبوا عن دعوة التوحيد ، غير انه شقّ عليهم تصديق ما قرأوا ، فحاولوا التوفيق بين الحقيقة وبين التأكيد على « اسلامية » الدروز :

فالدكتور محمد كامل حسين ، رغم تأكيده على خروج الدروز عن الاسلام ، يعود في خاتمة كتابه ليعلن مع عارف النكدي « بأن الدروز مسلمون ، كانوا ولا يزالون ، وانهم لو لم يكونوا كذلك ، لصيّرتهم عربيّتهم مسلمين » ، ويعترف مع امير البيان العربي الامير شكيب ارسلان « بأن الدروز فرقة من الفرق الاسلامية ... ويحفظون القرآن »[١٠٢] .

واغرب من الدكتور حسين موقف الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي عرف الدرزية ونقل رسائلها وتأكّد من عداوتها للاسلام ، ورغم ذلك أصرّ على اسلامية الدروز[١٠٣] .

والاخطر في كل هذا ، فتوى صدرت عن جامعة الازهر تعلن حقيقة اسلام الدروز . لقد جاء فيها : « وحيث ان طائفة الدروز ، ينطقون

(١٠٠) حافظ ابو مصلح ، واقع الدروز ، ص ٨ .

(١٠١) عبدالله النجار ، مذهب الموحدين الدروز ، ط ٢ ص ٢١٥ .

(١٠٢) د. محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ، تاريخها وعقائدها ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(١٠٣) د. عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، جزء ٢ ص ٦٤٧ .

بالشهادتين ، ويؤمنون بالقرآن ... فهم مسلمون ... ان اتهامهم بعدم الاسلام يثير الفرقة بين الجماعة الاسلامية ... »[١٠٤] .

يبدو لنا ، من خلال ما اوضحنا ان « التقية » هيمنت على الجميع . فالدروز يمارسون « التقية » على المسلمين ليحفظوا كيانهم ، والمسلمون يمارسون « التقية » على الدروز ليربحوهم في حظيرة الاسلام .

وبالنتيجة ، ان جميع الدروز يتنكرون ، في الظاهر ، « لرسائل الحكمة » التي سماها الزعبي « الرسائل الطارئة » ويعتمدون مثله « الرسائل — السجلات الاربع » . واسهل طرق التنكر ، عند الجهال من الدروز ، القول بأن هذه الرسائل ليست لهم ، وهم لا يتعرفون عليها اطلاقا .

خامساً — النصيرية في العقيدة الدرزية

منذ البدء كانت العلاقة بين الدروز والنصيريين متوترة وسيّئة . فهم ، على كونهم يؤلّفون أقلّيتين مضطَهَدَتين من الأكثرية المسلمة ، اضطهدوا بعضهم بعضاً ، منذ نشأتهم . وشرّ الاضطهاد هو القائم على العقيدة والدين . هذا لن يستطيع التاريخ محوَ أثاره ، لأنه مسجّل في الكتب المقدسة نفسها .

واليك باختصار وجهة النظر الدرزية من خلال رسالة بعث بها حمزة الى « النصيري الفاسق ، لعنه المولى في كل كور ودور »[١٠٥] . وفيها يردّ

---

(١٠٤) نشرت هذه الفتوى في مجلة الضحى (الدرزية) الجزء ١٢ كانون الاول سنة ١٩٦٨ .

(١٠٥) رسالة رقم ١٥ من « رسائل الحكمة » جزء ٢ ، ص ١٦٣ — ١٧٥ .

على ادّعاءات النصيريين وأباطيلهم الكاذبة . يقول حمزة :

« ورد اليّ كتاب ألّفه بعض النصيرية الكافرين بمولانا جلّ ذكره ، المشركين به ، الكاذبين عليه ، الغاوي للمؤمنين والمؤمنات ، الطالب الشهوات البهيميّة ، وبرازة الطبيعيّة ، ودينه دين النصيريّة الدنيّة ، فعليه وعليهم لعنة مولانا سبحانه ، ولعنة الخنازير [١٠٦] العابدين لأبليس [١٠٧] وحزبه . وسمّاه : كتاب الحقائق وكشف المحجوب . فمَن قبلَ كتابَه عَبَدَ ابليس ، واعتقد التناسخ [١٠٨] ، وحلّل الفروج [١٠٩] ، واستحلّ الكذب [١١٠] والبهتان . ونسبه الى الموحّدين الحقيقيّة . وحاشا دين مولانا عزّ وجلّ من المنكرات . وحاشا الموحّدين من الفاحشات . وحاشا لعبيد مولانا سبحانه أن ينسب اليهم شيء من الشهوات البهيميّة الدنيّة ، والاقاويل الشركيّة ...

« فلمّا قرأته وجب عليّ الاحتياط عليكم معشر الاخوان والحفظ لأديانكم ، فكتبت هذه الرسالة ردّا على ما ألّفه هذا الفاسق النصيري ، لعنه المولى ، كيلا يدخل في أديانكم شبهة ، ولا يقع عليكم تهمة .

« فأوّل ما قال هذا الفاسق النصيري ، لعنه المولى ، بانّ جميع ما

---

(١٠٦) الخنازير كناية عن اهل التنزيل والظاهر ، اي اهل السنّة .

(١٠٧) أبليس هو صاحب التنزيل والظاهر ، اي محمّد .

(١٠٨) يعتقد النصيريون بالتناسخ ، فيما الدروز يعتقدون بالتقمّص .

(١٠٩) جاء ذلك في « فرق الشيعة » للنوبختي ، ص ٧٨ .

(١١٠) والدروز أيضا يستحلّون الكذب ، ولكن مع غيرهم .

حرّموه من القتل والسرقة والكذب والبهتان والزنا واللياطة فهو مطلق للعارف والعارفة بمولانا جل ذكره .

« فقد كذّب بالتنزيل والتأويل ، وحرّف ، وما جاز له أن يسرق مال الناس ، ولا وسعة له في الدين أن يكذب اذ كان أصل دينه الكذب وأصل الكفر والشرك . والسدق من الايمان كالرأس من الجسد . والقتل فما يستحسنه أحد الاّ أن يكون كافرا بنعمة مولانا ، مشركا به غيره .

« وأمّا قوله انه يجب على المؤمن أن لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه ، وان يظهر لاخيه المؤمن عياله ، ولا يعترض عليهم فيما يجرى بينهم ، والاّ فلا يتمّ ايمانه .

« فقد كذب ، لعنه الله ، وسرق الأوّل من مجالس الحكمة (١١١) بقوله : لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه ، ويستر بذلك كفره وكذبه . والاّ فمن لا يغار على عياله فليس بمؤمن ... اذ كان الجماع ليس هو من الدين ...

« وأمّا قوله بان يجب على المؤمنة لا تمنع أخاها فَرْجَهَا وأن تبذل فرجها له مباحا حيث يشاء ، وانّه لا يتمّ نكاح الباطن الاّ بنكاح الظاهر ، ونسبه الى توحيد مولانا جلّ ذكره .

« فقد كذب على مولانا عزّ اسمه وأشرك به وألحد فيه ، وحرّف مقالة أوليائه الموحّدين . فعليه وعلى من يعتقده لعنة اليهود والنصارى والمجوس . فطلب هذا الفاسق التهمة في أبدانكنّ ، والفساد في أديانكنّ . ولو

---

(١١١) مجالس الحكمة حيث يجتمع الموحدون ليقرأوا أسفار الحكمة المقدسة .

نظرتنّ ، معاشر الموحّدات ، في الاديان المضلّة لبانت لكنّ الحقائق ، وامتنعتنّ عن الشهوات والبوائق ، وتفكّرتنّ في المجالس الباطنية التأويلية ... فعلمنا بانّه لم يكن لهذا الفاسق النصيري ، لعنة المولى عليه ، بغية غير الفساد في دين مولاناجلّ ذكره ودين المؤمنين ... [١١٢] .

« وأمّا قوله بأنّ أرواح النواصب والاضداد [١١٣] ترجع في الكلاب والقردة والخنازير ... وبعضهم في الطير والبوم ، وبعضهم ترجع الى الامرأة التي تثكل ولدها . فقد كذّب على مولانا ... [١١٤] .

ثم يتّهم حمزة النصيري الذي يعبد عليّا ويعتبره الها ، ويقول : « لا يكون في الكفر أعظم من هذا ... والكفر ما اعتقده الفاسق من العبادة في عليّ بن ابي طالب والجحود لمولانا جلّ ذكره ...

« وأمّا قوله بانّ محمد بن عبدالله هو الحجاب الاعظم ... فقد كذب في جميع ما قاله المنجوس النصيري ، فما عرف الدين ولا الحجاب ... وهذا قول من عقله سخيف ودينه ضعيف ... » .

هذه الرسالة كافية للدلالة على ما بين الدروز والنصيريين من خلاف في التعاليم والدين . وهي تدلّ على احتكاك مباشر بين الشعبين ، وعلى انّ كلاًّ من الجماعتين اطّلعت عن كثب على مذهب الأخرى . وقد حدث هذا الاحتكاك في جبال السمّاق بالقرب من حلب ، وفي بانياس الجنوبية

---

(١١٢) يستفيض حمزة في الشتم بسبب تحليل النصيري فروج النساء لكل أخ في الدين .

(١١٣) النواصب هم المسلمون السنيون ، والاضداد كل ملحد مشرك .

(١١٤) يضحد حمزة نظرية التناسخ في الحيوانات ويكفّر القائلين بها ...

ووادي التّيم . وكان نتيجة ذلك ان هجر الدروز جبال السمّاق تاركينها لاعـــدائهم ، وان هجر النصيريـون جنـوبـي سوريّــا مخلين مـواقعهم للدروز (١١٥) .

(١١٥) انظر كتاب العلويون النصيريون لابو موسى الحريري ، رقم ٥ من سلسلة الحقيقة الصعبة ، صفحة ١٨٠ — ١٨٣ .

الفصل السابع

نتيجة المجابهة بين الدرزيّة والإسلام

اولاً — محنة الدروز وشدة الاضطهاد

ان موقف الدروز من الاسلام والمسلمين اورثهم المحن والاضطهادات . لقد شنّ المسلمون عليهم حربا ضروسا بقيادة الخليفة الفاطمي « علي الظاهر » . غاب الحاكم الى الابد ، وغاب صفيّه حمزه وسائر الدعاة ، وتحمّل بهاء الدين المقتنى عبء الدعوة وقيادتها بصبر وألم ودموع . وقد عبّر في رسائله عن مآسي الموحدين والنكبات التي حلّت بهم .

لقد شهد حمزه العداوة الشرسة ضد الموحدين يشنها عليهم اهل الاديان والمذاهب كافة فقال : « ان اهل الشرائع يرون محبة الاعداء كافة ، ولا يرون محبة رجل موحّد »[١] .

بيد ان قائم الزمان ، قبل غيبته الاخيرة ، صرّح بضرورة المحنة لانها تزيد الموحدين ايمانا وصفاء ويقينا : « من كان مؤمنا بالغا في دينه ، سادقا في قوله ، صحيحا في فعله ، كلما زاد الزمان امتحانا ، زاد في نفسه يقينا وايمانا ... »[٢] .

---

(١) الموسومة بكشف الحقائق ١٣٧/١٣ .

(٢) رسالة الرضى والتسليم ١٨٠/١٦ .

وينصح حمزه اتباعه بالصبر وبأن يكونوا مستعدين ، لان المحنة سوف تنقلب على اعدائهم : « كونوا ايها الاخوان على هبة من امركم ، ولا تظنوا الذي انتم فيه شرًّا لكم ، بل هو خير لكم ... فسوف اجعل اكابرهم لاصاغركم أَعبُـدَ ، واقتل المشركين والمرتدين بسيف مولانا الحاكم إله العالمين »[٣] .

اما بهاء الدين المقتنى فانه يسهب في وصف المحن المريرة والضحايا الكثيرة التي تكبدها الدُروز . من اقواله : « ان آل السفه والفسق والجحود ، الذين رفعوا بالبلس رؤوس الاشهاد على رؤوس الرماح ... وقتلوا الجمّ الغفير بسيوف الاضداد ، بعد سبي النساء والاولاد ، وتعليق رؤوس الرجال الموحدين في اعناق اخواتهم وبناتهم ، وذبح الاطفال الرضّع في حجور امهاتهم »[٤] .

ويتابع بهاء الدين وصف ما حلّ بالموحدين في كل مكان ، ويشير الى اتساع الاضطهاد من الاسكندرية حتى انطاكيا . ورغم هذا بقي الدروز صابرين صامدين . لقد هدر (الدجال) دماءهم في جميع البلدان ، وتبعهم هو وتبّاعه في كل مكان . لقد قاتلونا باسلحتنا من حيث امّنّا على النفوس »[٥] .

ويحدّثنا بهاء الدين عمّا لحق به شخصيا من أذى وشقاء . لقد تهجّر عن القاهرة ومُنع التبرك بحرمها . ويتابع قائلا : « تعذّرتْ علينا الطرق

---

(٣) رسالة الاعذار والانذار ٣٤/٢٤٨ — ٢٤٩ .

(٤) ايضاح التوحيد ٧٤/٦٦٤ — ٦٦٥ .

(٥) رسالة الحقائق والانذار ٥٧/٤٥١ .

والمسالك ، ونحن من اهلنا على شفا جرف المصائب والمهالك »[٦] .

لم تكن هذه المحنة الا لتشدّد من عزيمة بهاء الدين وتزيده صبرا وقوة ، فراح يهيب بجميع الموحدين الى الاقتداء به وتحمّل الاضطهاد بايمان ثابت ، ضارعا الى الله بقوله : « اللهم ، اللهم ... الهم الصبر لاهل الحق على هرج الشيطان ومتّبعيه »[٧] .

وبسبب اشتداد المحنة والاضطهاد اغلق باب الدعوة . فمن دخلها بقي فيها الى الابد ، ومن لم يدخلها بقي خارجا عنها الى الابد . والذين صمدوا جلبوا الرحمة عليهم وعلى اولادهم واولاد اولادهم الى ابد الآبدين . « ايها الاخوان ... تقربوا الى وليكم بصالح الاعمال ، قبل غلق ابواب الرحمة وختم الافواه وقطع الكلام ... »[٨] .

ثانياً ـــ التقيّة

التقية هي الوسيلة لتجنب الاضطهاد . فيها يخفي الدروز عقيدتهم ودينهم ويظهرون عقيدة مضطهِديهم ، ودينهم . فالدروز مع الغالب ، والغالب لا يرى فيهم اي امر يشين . قوام التقية صون الحكمة عن غير أهلها ، والحفاظ على سرّها وكتمانها ، والاحتراز والتدليس والكذب على « الاضداد » ، والتظاهر بالاسلام ، وتلاوة آيات القرآن الكريم ، واعلان نبوة محمد ، وامامة علي . يقول الامير السيد : « ان الامر في دور السرّ بما

---

(٦) رسالة الجبل الانور ١٠٩/٨٣٣ .

(٧) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/٦٦٩ .

(٨) توبيخ سكين ٧٨/٧١٤ ... ومواضع كثيرة في رسائل الحكمة .

يطابق شريعة الاسلام جائز ، ولو كان تدليسا ، كالامر بالصلاة والزكاة والصوم والحج وما شاكل ذلك ... » [٩] .

فالتقية اذن لا في ستر الحقيقة بل التصريح بضدها . والرسائل حافلة بها وبدعوة الموحدين الى العمل بالظاهر : « اعملوا بالظاهر ما دام نفعه مستمرا ... حتى يقوم بالتوحيد صاحب القيامة » [١٠] . جوهر التقية ان تكون مسلما مع المسلمين ونصرانيا مع النصارى وشيعيا مع الشيعة ويهودياً مع اليهود ، ان تصلي صلاتهم وتقيم فرائض عباداتهم ، وتعترف بنبوّة انبيائهم . ولقد وردت في « تعليم دين التوحيد » اسئلة واجابات مختلفة حول مفهوم التقية . بعض هذه التوضيحات : « صلّوا على اي ملّة كانت ، فلا مانع على شيء ظاهر لا يتمّ باطنا ... ان محمد ، نحن بالظاهر نقر به نبيا لاجل الاستتار ، وفي الباطن نشهد به انه قرد وشيطان وابن زنا ... ان مولانا حمزة امرنا بأنه اي ملّة تغلّبت عليكم اتبعوها واحفظوني في قلوبكم ... عيسى النصراني ليس نبيا بل تارك في انجيله بعض اقوال باطلة ... كما ان عليّا ليس نبيا بل هو عرص ملعون ... » [١١] .

يتبين ان التقية بمعنى « الكذب والتدليس » واجبة على الدرزي . وعلى الموحدين ان يعملوا بموجب وصايا الحكمة الداعية الى الصمت والكتمان . تقول الحكمة : « اصمتوا عن الكلام واغمدوا سيف اللسان الى ان يؤذن لكم بالايضاح والتبيان » [١٢] .

---

(٩) تفسير كشف الحقائق للامير السيد التنوخي ص ٤٢ .

(١٠) ايضاح التوحيد ٦٦٩/٧٤ — ٦٧٠ .

(١١) تعليم الدين الدرزي ، س ١١٠ — ١٢٠ .

(١٢) رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوقيف ٣٢٢/٤٢ .

وكما ان السدق واجب وفرض مقدس فيما بين الموحدين ، فان الكذب هو ايضا واجب مقدس مع غير الموحدين . تقول الحكمة : « اقبلوا الحكمة يا اهل الحكمة ، واديموا المواظبة على حفظها وصيانتها على غير اهلها » [١٣] .

اما الاسباب التي دعت الدروز الى التقية فهي ، كما يصرّح عبدالله النجار ، « صيانة لانفسهم من الاضطهاد ووقاية لها من العدوان » [١٤] . اما السيد كمال جنبلاط فيردّ التقية الى عدم توفّر الاهلية الروحية والاستحقاق الخلقي عند عامة الناس ، كما ينقل الينا حذر الكتب المقدسة في ذلك فيقول : « تحظر الكتب المقدسة على الصديقين الروحانيين ان يتحدثوا عن الحقيقة كما هي ... لان الحقيقة تتشوه من جراء ذلك ... » [١٥] . بيد ان جنبلاط يعود فيتأرجح بين السرّية الواجبة وبين وجوب تجنب عزلة فكرية فيما بين المشايخ وعامة الناس ، فيقول : « وكيف يتسنى لمن لا يعرف شيئا عن مبادئ دينه العامة ان يسترشد به وان ينطبع بقالبه ، وان ينتسب روحيا ، وحتى اجتماعيا اليه ، دون ان يتجاوز احد حدًّ ما لا يحق كشفه الا للمتعبدين الصديقين والصالحين المحترزين اي للمريدين » [١٦] . اما الدكتور سامي نسيب مكارم فيعتبر ان صيانة الحقائق في مسلك التوحيد هي اصل واسّ رئيسي ، لا نهج طارىء ، اي ان السرية هي بالاصل عقيدة سياسية في مسلك التوحيد [١٧] .

---

(١٣) رسالة الرشد والهداية ٢٨٦/٣٩ .

(١٤) مذهب الموحدين الدروز ط ٢ ، ص ١٨ .

(١٥) كمال جنبلاط في مقدمة كتاب « اضواء على مسلك التوحيد » ، ص ٧ و١٦ .

(١٦) المرجع نفسه ، ص ٩ — ١٠ .

(١٧) اضواء على مسلك التوحيد ، ص ٩٦ .

يتضح مما سبق ، ان الحقيقة ، عند الدروز ، تتأذّى من شيوعها . لذلك فرضت عليها التقية وضرب حولها حصار منيع لكي لا تنكشف على عامة الناس . « فدين التوحيد لا يصح ولا يكمل الا بالمساترة ، كما لا يصح للناظر في المرآة ان يرى وجهه الا بطمس الجهة الاخرى » (١٨) .

اكثر من هذا يحق للموحد ان يقضي « حاجة ظالم لضرورة توجب مداراة ومصانعة » (١٩) بل إنّ « مَن أَهمل المساترة دخل في الزنا ، ومن سلّم الحكمة الى غير اهلها دخل في الزنا » (٢٠) . وبهاء الدين المقتنى نفسه اوجب على الموحدين سبّه ولعنه ان رأوا انفسهم في خطر داهم (٢١) .

ويبدو ان امير لبنان فخر الدين المعني الثاني كان يعرف هذا المعنى للتقية فاوضح لترجمانه في توسكانا تصرفات الدروز حيال النصارى بقوله : « وعصبتنا جميعهم يمدحون امام كل انسان مسيحي يجالسونه ، وقدام الكهنة والرهبان سكان بلادنا ، الذين هم محمودو السيرة والمعارف والفضيلة ... ولكن بالجهر والاعلان فقط ، ليس بالقلب والباطن ، لان الدروز جميعا في السر والباطن يذمّون سائر الرهبان والمسيحيين ويستخفون بالانجيل ، وينكرون شجاعة الشهداء » (٢٢) .

وقد لَمسَ ذلك الكابتن « كاربييّه » حاكم جَبل الدروز ، فقال عن سلطان باشا الاطرش بأنه « متأثر بديانته الخاصة التي تجعل من الكذب

---

(١٨) مخطوط ١٤٣٦ في شرح ميثاق ولي الزمان ، ورقة ٢٥ أ و ٢٧ أ .

(١٩) مخطوط ١٤٣٨ في معنى الجوارح السبعة ، ورقة ٢٠ ب .

(٢٠) المرجع نفسه ، ورقة ٢٨ ب .

(٢١) منشور الغيبة ٨٤٢/١١١ .

(٢٢) مخطوط ٢٣١ ، ورقة ٦٣ ب — ٦٤ أ .

عقيدة حقيقية ومن الحلفان بالباطل فرضا »[٢٣] .

هذه « المساترة » مارسها الدروز عبر تاريخهم ، والشواهد كثيرة : منها تصرفات الشيخ سعيد جنبلاط مع مسيحيي دير القمر في حوادث ١٨٦٠ . تؤكد المصادر الروسية : «كان الشيخ سعيد يعقد اجتماعات سرّية في مقره في المختارة ... قبيل وقوع الاصطدامات بين الدروز والموارنة ، نصح القنصل الانكليزي الشيخ سعيد جنبلاط بعدم القيام باعمال سافرة كي لا يفضح نفسه . وقد نفّذ الشيخ هذه النصيحة بدقة ، فامتنع عن المشاركة بالاعمال الحربية ، وحتى انه ارسل اغذية الى دير القمر ... ولكنه كان يقود سرا جميع العمليات الحربية ضد المسيحيين »[٢٤] .

هذا العرض للتقية يدفعنا الى ان نتساءل : هل الاطلاع على اسرار الحكمة يزيدها غنى ام يفقرها ؟ هل من الحكمة ان يكون اصحاب الحكمة مغلقين على غيرهم ؟ ان الحكمة تربأ باصحابها عن ان يمنعوها عن سائر البشر ، ويوصدوا عليها الابواب ، ويحجزوها في جهلهم . لمن شأنها ان تضع نفسها في خدمة الجميع وان تكون لصالح الجميع ، لا ان تقتصر على قسم منهم ، ويمنع القسم الآخر من ورود مناهلها . ففضيلة اعلان السر تعادل فضيلة كتمانه ، بل قد يكون اعلانه اكثر جدوى من كتمانه ، لان الخير العام هو في ان يعرف الناس سرّ خلاصهم ، وان يتبادلوا هذه المعرفة وينمّوها بتحطيم الحواجز والعوائق فيما بينهم ... اننا لنودّ التعرض لكل سرّ ، ان في قلوب الناس ام في ثنايا الكتب ، فاما تنهار قدسيّته فيضمر ويجفّ ، واما يصمد في تسليط الضوء عليه فيغتني ويغني .

---

(٢٣) CARBILLET, *Au Djebel Druze*, Ed. Argo, Paris 1929, pp. 64-65.

(٢٤) ارشيف سياسة روسيا الخارجية . « السفارة في القسطنطينية » .

لمن الواجب على بني معروف ان يفتحوا ابواب دعوة التوحيد لجميع الناس ، مهما كلّفهم الامر ومهما كانت النتيجة . انه خير لهم ان ينزلوا الى مستوى الانسان ليرفعوا اليهم كل انسان يرجو نيل الحكمة والخلاص : فلئن جازت الانانية بعض الشيء بين البشر في علاقاتهم الاجتماعية ، فانها لا تجوز مطلقا في ما يخص الدين والآخرة .

ثالثاً ــ استعمال الرموز والتأويل

قد لا تكون التقية كافية لكتمان سر الدرزية وكتبها ، وقد تقع « الحكمة » بين ايدي اناس غير جديرين بها ، فأُتي « بالرموز » وقاء آخر وحماية اخرى ، يتقي بها الدروز شر « الاضداد » . على هذا بذلنا الجهد في الاطلاع على الوفير من الشروحات لرسائل الحكمة (كشروحات الامير السيد) والكثير من المخطوطات ، قبل الاقدام على وضع هذا البحث .

مجمل الكتب الدينية تحدّث بالرموز والامثال . يقول الله في كتابه الكريم : « الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون »[٢٥] . ويقول الانجيل : « وهذا كله قاله يسوع للجموع بالامثال ، وبغير الامثال لم يكن يكلمهم »[٢٦] .

بيد ان ما سمّي في القرآن والانجيل « امثالا » ، سمّي في الدرزية « رموزا » . فالمدلول واحد بينما المقصود يختلف بل هو النقيض تماما . فالامثال في القرآن والانجيل كانت من اجل ما كان خفيّا ، اما الرموز في الحكمة الدرزية فهي للتمويه والتستر ...

---

(٢٥) سورة العنكبوت ٢٩/٤٣ .

(٢٦) انجيل متى ١٣/٣٤ .

١ ــ واليك رموز بعض آيات من القرآن :

أ ــ « بسم الله الرحمن الرحيم » : ان هذه الآية يتلوها الدروز كالمسلمين ، الا انهم يؤوّلونها تأويلا غريبا لا يخطر على بال . « بسم الله » سبعة احرف ، دليل على سبعة دعاة اصحاب الاقاليم السبعة [٢٧] ، وسبعة افلاك ، وايام الاسبوع السبعة ... « والرحمن الرحيم » اثنا عشر حرفا ، دليل على اثني عشر داعيا ، اصحاب الاثني عشر جزيرة ... [٢٨] والحروف التسعة عشر جميعها دليل على الدعاة التسعة عشر، الذين هم دعاة « قائم الزمان » حمزه الذي بثهم في اقاليم المملكة الفاطمية لنشر دعوة التوحيد .

ب ــ « لا اله الاّ الله » : كلمتان ، واربعة فصول وسبعة مقاطع واثنا عشر حرفا . الكلمتان دليل على العقل والنفس ، والفصول الاربعة دليل على الحدود الاربعة (ما عدا حمزة) ، والمقاطع السبعة دليل على النطقاء السبعة ، وعلى الايام السبعة والسنوات السبع ... « محمد رسول الله » : هي ثلاث كلمات ، دليل على ثلاثة حدود بحسب الدعوة الاسماعيلية ، وهي ستة مقاطع دليل على ستة نطقاء (ما عدا آدم) . والاثنا عشر حرفا دليل على اثني عشر حجة ... [٢٩] هذا باختصار مفهوم ركني الاسلام ، البسملة والشهادتين ، عند الدروز . وعلى نفس النمط يفسرون سائر آيات القرآن . « فالصلاة هي صلة قلوبكم بتوحيد مولانا » . « والزكاة هي توحيد مولانا

---

(٢٧) رسالة سبب الاسباب ١٥٥/١٤ .

(٢٨) المرجع نفسه .

(٢٩) انظر كتاب النقض الخفي ٥٣/٦ .

بتزكية قلوبكم »[٣٠] والصوم هو صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا ...[٣١] الخ ...

٢ — معنى الاعداد والحروف :

لا تقتصر الرموز على آيات القرآن ، بل ان لبعض الاعداد دلائل . فالعدد ٧ يدل على سبعة نطقاء وسبعة اوصياء وسبعة ايام وسبع سموات ... اما الحروف الابجدية فلها ايضا دلالات . الالف دليل على العقل وهو الامام (حمزه) ، والباء دليل على النفس (التميمي)[٣٢] الخ ...

٣ — الغاز الحكمة :

ان التقية اوجبت على الدروز التفاهم فيما بينهم بواسطة الرموز والاشارات . ان كلمات « الفلاحة » « والزراعة » و« الربح والخسارة » « والبستان وصاحب البستان » « والجراد » ... هذه تعني عند الدروز اشياء واشياء . « فالكتان » يرمز الى الرسائل العارية من الرمز ، و« القطن » ممثول رسائل التوابيخ[٣٣] ... الخ ... وقد تكون الغاية من هذه الرموز تعرّف الدروز على بعضهم بعضا في حضرة الأضداد .

وهكذا بالرموز يتعارف الدروز ، وبالرموز يتميزون ، وعلى تفسير الرموز يجتمعون ، وبالرموز يتجنبون شر الاشرار وخطر المضطهِدين . وقد يكون

---

(٣٠) المرجع نفسه ٥٦/٦ — ٥٧ .

(٣١) المرجع نفسه ٥٨/٦ .

(٣٢) رسالة كشف الحقائق ١٤٣/١٣ — ١٤٥ .

(٣٣) كتاب الدرر المضية ، لفظة «قطن» ص ٦٦٢ ، وكتان ،...

العلم الحقيقي في الدرزية هو علم فك الرموز ، كما ان العلم عند المسلمين هو « علم الكلام » . وهذا هو اللاهوت الدرزي بكماله .

رابعاً ـــ سيف الانتقام والاخذ بالثأر

لمجابهة العداوة الشرسة التي قامت في وجه الدروز ، ردّ هؤلاء بطريقة سلبية معتمدين التقية والسرية والرموز والصبر على المحنة ، وردوا بطريقة ايجابية داعين الى قتال المسلمين اذا ما توفرت القوة والمقدرة .

على الموحدين ان يقاتلوا المسلمين ، لان المسلمين عامة « لا يهتدون الا بالسيف »[٣٤] . وكثيرا ما تستهلّ « رسائل الحكمة » او تختم بهذه العبارة التي تصف قائم الزمان حمزه بأنه « هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين والمرتدين بسيف مولانا ، سبحانه »[٣٥] . ومن جملة وصايا حمزه لمقام الرضى قوله له بتوصية الموحدين بحمل السلاح دفاعا عن انفسهم وعقيدتهم[٣٦] . وبهاء الدين المقتنى يذكّر الموحدين بأمر من السجل المكرم بحمل السلاح في كل مكان .

وقد يكون السيف هو الوسيلة الوحيدة للدفاع عن دين التوحيد ولتأييده ضد المنافقين[٣٧] . اما من نجا من السيف فتفرض عليه الجزية . وتؤخذ الجزية من المسلمين ، تماما كما يأخذها المسلمون اليوم من اهل الذمة .

---

(٣٤) السيرة المستقيمة ١٢/١١٣ .

(٣٥) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/١٩٠ .

(٣٦) تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١/٢١٠ .

(٣٧) رسالة الرضى والتسليم ١٦/١٧٨ .

اما بالنسبة الى اليوم الأخير ، فسيكون السيف علامة القيامة والغلبة . في ذلك اليوم سيقوم جميع الموحدين عند « ضجيج السيد الهادي الامام (حمزة) وشموس القيامة (الحدود) بسيوفهم ، ينتقم من ابالسة الادوار (النطقاء) واشياعهم الفاسقين[٣٨] . في اليوم الاخير ، سيحل بالمنافقين الذعر وسيخضعون جميعهم « للذل الشامل والسيف القاتل ، وتطأهم باخمصها كتائب الملك المظفّر المسعود »[٣٩] .

هذا السيف ، اطمأن اليه الدروز في تاريخهم السياسي المغمور بالقهر ، وبه يؤخذ الثأر لدماء الموحدين المظلومين . والوصية بأخذِ الثأر عزيزة على قلب كل درزي موحّد مخلص لعقيدته . بها يحفظ اخوانه ويسدقهم ، ويتعهد كرامتهم ، وينتقم لدمائهم المهدورة ظلما وقهرا . ومما لا شك فيه ان جميع الموحدين سيقومون بعملية الثأر هذه . وما قائم الزمان ، حمزة ، الا « الآخذ بثأر اوليائه الممتحنين الركّع السجود من آل السفه والفسق والجهل والجحود »[٤٠] . وهو يتعهد بأن « يثأر لاهل التوحيد من الشيصبان (علي) والعجل (محمد) »[٤١] وفي عودة حمزة ، عند تجلي الحاكم في مكة ، سيكون استيفاء الحق وردّه الى اصحابه الاصليين ، ومعاتبة الاشرار والثأر منهم[٤٢] .

ان رسائل الحكمة لتزخر بالحديث عن الثأر . والثأر الدرزي هو الجهاد

---

(٣٨) رسالة الايقاظ والبشارة ٥٦/٤٧٨ .
(٣٩) رسالة التعقّب والافتقاد ٥٥/٤٢٢ .
(٤٠) رسالة ايضاح التوحيد ٧٤/٦٦٤ .
(٤١) رسالة التقريع والبيان ٦٢/٤٨١ .
(٤٢) رسالة التعقب والافتقاد ٥٥/٤٢٨ .

الاسلامي ، مع الفرق ان الجهاد في الاسلام هو السبيل الى الله ودفاع عن الدين ، بينما الثأر عند الدروز ليس دعوة الناس الى مذهبهم — لان باب الدعوة مغلق — بل هو انتقام لاخوانهم الذين قتلوا ظلما في اوائل الدعوة . ولا بد للدرزي من ان يصلي كل يوم ، ويذكر في صلاته كل ما يعود الى الثأر لدماء اخوانه والانتقام لهم باذلال محمد والاسلام والمسلمين الذين كانوا المسؤولين عن اراقة الدم البريء . ما يقوله الدرزي في صلاته : « اللهم . ان قرن الشيطان (محمد) قد طغى فأذلّه ، وعدد اهل الارتداد والنكث قد كثر فاقلّه ... اللهم . فأرنا بمساديق وعدك اجتثاث شجرة الاوغاد (المسلمين) ... » [٤٣] .

(٤٣) رسالة الحقائق والانذار ٥٧/٤٥١ — ٤٥٢ .



الفصل الثامن

المَعَاد عند الدروز

اولاً — توضيح عام

بين المعاد الدرزي والمعاد الاسلامي فروقات كبيرة وتباين جوهري . هذا يقول بحياة واحدة للانسان وبجنة ونار ماديتين ، وبيوم للحساب والقضاء رهيب ، وبنهاية هذا العالم وزواله . وذاك يقول بحيوات متعددة ، اي بتقمص الارواح وانتقالها من جسد الى آخر ، وبأدوار للخليقة متلاحقة ، وبجنّة ونار روحيتين ، وبنهاية هذا العالم بنهاية اديانه ومذاهبه ...

وتعتبر الدرزية ان الدور الذي نحن فيه هو آخر الادوار ، في نهايته يتجلى الحاكم بمجد عظيم وغلبة لا تقهر ، وتحشر جميع النفوس في دين التوحيد ، وتكون للموحدين سعادة لا توصف ، وللمخالفين عذابات لن تنتهي ... واعظم القهر سيقع على المسلمين ، عندما يشاهدون مدينتهم المقدسة تدك دكا وتهدم حجرا بعد حجر .

ولا بد ، قبل النهاية ، من النظر في تحوّل الانسان من حياة الى حياة ، اي نقلته من جسد الى جسد اعني تقمصه المتتالي ...

ثانياً — نظرية التقمص

التقمص هو انتقال النفس من جسد بشري الى جسد بشري آخر . اما التناسخ ، اي انتقال النفس الى اي جسد كان ، فهو ، عند الدروز ، امر باطل مخالف لاسفار الحكمة . « الموحدون الدروز لا يؤمنون بالحلول ولا بالتناسخ بل يؤمنون بالتقمص » [١] .

فالتقمص اذن امر مقرر وعقيدة اساسية في التوحيد .

شيخ العقل ، محمد ابو شقرا ، يوجز لنا مفهوم التقمص فيقول : « الموحدون الدروز يؤمنون بالتقمص . فبه يثبت عدل الله في مخلوقاته ، وتتكافأ الفرص وتتاح لكل مخلوق ... النفوس لا تفارق الاجسام لحظة واحدة ، بل تنتقل بسرعة من جسد بشري الى جسد بشري جديد ... والنفوس جواهر والاجسام آلاتها ، كالعين آلة البصر ، واللسان آلة الكلام ... ان خلود النفس لا يكون ولا يمكن ان يكون بالنسبة الى عدل الخالق تعالى ، وبالنسبة الى الثواب والعقاب ، الا بواسطة التقمص ، وهذا الامر اشارت اليه كتب الاديان جميعها » [٢] .

هذا هو مفهوم التقمص كما يؤمن به الدروز وكما ورد في رسائل الحكمة وكما حدّده قائم الزمان : « ان التقمص هو تعاقب الارواح في الاجساد البشرية للامتحان والتطهير ، ولا يمكن للنفس ان توجد بدون الجسد . فالله، عند خروجها من جسدها الاول، يعدّ لها مباشرة جسدا آخر تتحد به . وهذا الاتحاد لا يعني حلولا ، اي ان الجسد موجود سابقا لتحلّ النفس

(١) مجلّة الضحى ، يصدرها المجلس المذهبي للطائفة الدرزية ، عدد ١٠ سنة ١٩٧١ .

(٢) مجلة الضحى ، عدد ١٠ سنة ١٩٧١ .

فيه . ولا يعني تناسخا بجميع اشكاله كالنسخ والفسخ والمسخ والرسخ وغيرها » (٣) .

وفي كتاب النقط والدوائر ، ان النفس بحاجة الى الجسم لتقتبس المعرفة ... « فالجسم حجابها ومنه تظهر افعالها ، ولا تدرك الا منه ، ولا غنى لها عنه ، ولا تنتقل منه الا به ... » (٤) .

اضف الى ذلك ان الله قادر على ان يثيب الانسان او ان يعاقبه في جسد بشري . وليس بحاجة ، لكي يثيبه ، ان يلبسه جسدا ملائكيا ، ولا ان يلبسه جسدا حيوانيا ، لكي يعاقبه ... (٥) .

واليك ملخّص مبادىء التقمص :

ان الارواح في العالم محدودة معدودة ... فلو زاد العالم كل الف سنة نفسا واحدة لضاقت الارض بالناس ، ولو نقص كل الف سنة نفسا واحدة لم يبق على الارض انسان واحد ... (٦) .

وهناك نظرية العدل الالهي التي توجب التقمص ، اذ ليس من العدل في شيء ان يحاسب الله الانسان على فترة من العمر قصيرة . « لذا كان التقمص ، وكان تعدد الاجيال ، وكان على الانسان ان يمر في جميع الادوار لِيُظهر جوهر نفسه ... وعندئذ يمكن الحكم عليه ، فيستقيم العدل » (٧) .

---

(٣) رسالة الرد على النصيري الفاسق ١٧١/١٥ .

(٤) كتاب النقط والدوائر ص ٣٠ — ٣١ .

(٥) من دون قائم الزمان ٥٣٥/٦٧ .

(٦) المرجع نفسه .

(٧) امين طليع ، التقمص ص ١٨ .

بيد ان بعض التناقض يظهر في آراء بعض المفكرين الدروز حول التقمص . فبينا الشيخ ابو شقرا يقول بأن الروح الدرزية تتقمص غالبا شخصا درزيا [٨] . يقول الاستاذ النجار بأن النفس تنتقل من جسد الى جسد دون تمييز عنصري او مكاني [٩] . اما الاستاذ كمال جنبلاط فيؤكد قائلا : « لا يقبل الدروز احدا في دينهم ولا يسمحون لاحد بالخروج منه » ... ثم يقول : « انه في سنة ٢٠٠٠ يفتح الطريق من جديد ويصير بامكان جميع الناس في كافة اصقاع العالم سلوكها » [١٠] .

وقد يعود هذا التناقض في الاراء حول التقمص ، الى الاعتقاد بأن نفوس البشر كلها ، كانت في البدء ، موحدة . الا ان بعضها تخلّفت عبر الادوار المتعاقبة ، وبعضها اشركت ، وبعضها ارتدت ، وبعضها لم تصلها الدعوة ... وكلها ، تستطيع ، في كشف جديد ، ان تدخل الدعوة ، وان تعود بتقمصات جديدة ، الى صفاء التوحيد .

اما غاية التقمص فقد اختلف فيها كما اختلف حول المبادىء . هل الغاية من التقمص امتحان النفس وتطهيرها ام ترقّيها في درجات الكمال ؟ يبدو ان لبعض الدروز المستنيرين رأيا يختلف عن رأي الحكمة نفسها . فبينا تعتبر الحكمة ان غاية ادوار التقمص بلوغ النفس حدّ الامامة والكمال ، يعتبر الدكتور مكارم والقاضي طليع ان الغاية من التقمص تكمن في الامتحان والتطهير وحسب . تقول الحكمة : « الجزاء في الثواب ... فهو زيادة درجته

---

(٨) الدكتور مصطفى الشكعة . اسلام بلا مذاهب ص ١٩٤ .

(٩) النجار . مذهب الموحدين الدروز . ط ٢ ص ٨٨ .

(١٠) كمال جنبلاط . هذه وصيتي . ص ٥٠ .

في العلوم ... الى ان يبلغ حدّ المكاسرة ، وينبسط في الدين من درجة الى درجة الى ان يبلغ حد الامامة »[١١] .

بيد ان الدكتور سامي مكارم يقول « بأن التقمص ، في مذهب التوحيد ، ليس تطورا للروح في هذا الدور ، بل هو تقلب الروح في شتى الاحوال ، لكي يتسنى لها ان تختبر هذه الاحوال »[١٢] . وهذا ايضا رأي القاضي امين طليع الذي يقول « بأن الدروز خلافا لسواهم لا يرون في تدرج الروح طريقا الى الكمال او الامامة ، بل اختبارا وامتحانا »[١٣] .

في العقيدة الدرزية ان التقمص هو ما يجمع بين الناس على اختلاف نزعاتهم والوانهم ومواقعهم ، وهو يفرض على البشر التحلي بأنبل صفات الاخوة والمحبة والمساواة بين كل الامم . فالنفس ، عبر تنقلها من جسد الى جسد ، قد تقوم برحلات بعيدة ، وتجتاز حواجز العرق والدين والحضارة ... هذه النظرية التي توحّد بين ابناء الارض وسكان الكواكب ، غنيّة الابعاد ، شريفة نبيلة المرمى ... ليت الدروز اخذوا بمجمل أبعادها .

ثالثاً — جنة الموحدين ونارهم

بين المسلمين والدروز اختلاف بارز وتباين كبير حول مفهوم الجنة والنار . فالمسلمون يقولون بجنة ونار ماديتين ، فيما الدروز يعتقدون بهما

---

(١١) رسالة الرد على النصيري الفاسق ١٥/١٧١ .

(١٢) مكارم ، اضواء على مسلك التوحيد ص ١٢١ .

(١٣) امين طليع . التقمص ص ١٨ — ١٩ .

روحيتين . في جنة المسلمين انهار من لبن وعسل ورحيق مختوم ، واشجار وارفة الظلال ، ولذات جسدية مكتملة مع حوريات تكعبت صدورهنّ استثارة للذة والمتعة ، وهنّ ابكار على الدوام [١٤] ، كلّما باشرهنّ اصحاب الجنة لمسوا فيهنّ بكارتهن ، كأنهن معهم للمرة الاولى ... وفي الجنة من الحلى الزاهيـة ... ما يجعـل البهجة والمتعة واللـذة في اقصى تـوترهـا الجنسي [١٥] .

اما الجحيم فهي مكان معدّ لعذاب الهالكين الذين لم يؤمنوا بالاسلام ، او الذين آمنوا ثم كفروا . فيها نار خالدة (١٢٠ مرة) ... النار من تحتهم ومن فوقهم ، جعل الله في اعناقهم اغلالا من حديد وسلاسل ثقالا ، يأكلون الشوك والزقوم ويشربون الغسّاق اي القيح والدم [١٦] .

هذا باختصار حال جنة المسلمين وجحيمهم . اما جنة الدروز فهي روحانية خالصة ، تقوم السعادة فيها على التوحيد ... اثمارها العلوم الالهية الحقيقية ، التي بها يتخلص الموحدون من جهلهم من داء الشرك ... فالجنة اذن ، اي الثواب ، الذي هو افضل العطاء واشرف الجزاء، هو ادراك المعلومات الالهية ، واقتناء الفضائل البرهانية ... وانها السعادة القصوى وكمال الانسان ... والكمال ... هو العقل الذي اشارت اليه الحكماء المتقدمون ... [١٧] .

---

(١٤) سورة ٣٦/٥٦ . ٥/٦٦ من القرآن .

(١٥) ٣١/١٨ . ٥٣/٤٤ . ٢١/٧٦ من القرآن .

(١٦) ٥٤/٢٩ . ٧١/٤٠ . ٦/٨٨ . ٢٥/٧٨ من القرآن .

(١٧) معراج نجاة الموحدين ٥٨٥/٦٩ — ٥٨٧ .

اما النار فهي ، بحسب الدروز ، الشريعة وتكاليفها الابليسية . والشريعة كما هو معروف عنها ، هي الكفر والشرك والتلحيد ، فتكون النار ، بالتالي هي الشرك والجهل والشر .

فالجنة اذن هي الايمان بالتوحيد ؛ والنار هي رفض التوحيد .

رابعاً — اليوم الاخير عند الدروز

يوم المعاد ، هو اليوم الاخير في هذا العالم ، فيه تصير الدينونة وتحاسب كل نفس بما صنعت وفيه ينتهي العالم ... في هذا اليوم لن تكون « قيامة عامة للاموات » ، كما هو الحال في اليهودية والاسلام ، لان الارواح لم تبرح هذا العالم ، بل هي تنتقل من جسم الى جسم حتى تبلغ تطورها وكمالها . وتتحد بالعقل الكلي نهاية كل رقّي وتطور . وفي هذا اليوم لن يكون حساب عام للاموات ، لان كل نفس تحاسب عند تنقلها في الاجساد . وينتهي الحساب عند وصولها الى حد الكمال في العقل الكلي . اما النفوس الشريرة والمشركة فتستمر في تقمصها الاجساد الشريرة الى الابد .

وفي اليوم الاخير من هذا العالم يتجلى الحاكم بقوة لا توصف ، ويظهر قبله صفيّه قائم الزمان حمزه ببأس عظيم . وغالب الظن ، كما يقول الامير السيد في شروحاته للحكمة ، ان بدء التجلي (سيكون) في مكة ، لان صفيّه صلى الله عليه وسلم ، اذا اقتضت مشيّة الرب تعالى ، انه يظهر بالعسكر العظيم ، فيظهر من الشرق حتما ، ويسحب ذيله قاصدا بيت مكة فتلاقيه ملوك الدنيا من مشارقها الى مغاربها ، كما قال قائم الزمان .

« ومن حين ظهوره بالشرق ، يقع الذعر والهيبة في قلوب الملوك

الكفار . ويقع الفرح الشديد والهنا والابتهاج والاستبشار في قلوب السادقين الابرار ... وفي ذلك اليوم يأذن جلّ جلاله بخراب البيت العتيق الذي هو الكعبة . ويأمر السيد العظيم قائم الزمان بجريان سيف الحق في العساكر المجتمعة . ويكون بدء الفعل مع خراب البيت ... » (١٨) .

ان هذا النص ، الذي دبّحته يدٌ جليلة ، لها مكانتها في المجتمع الدرزي ، هي يد الامير السيد جمال الدين التنوخي ، لهو يوجز بوضوح ما ورد في الرسائل حول اليوم الاخير ... يوم المعاد هذا يكون اذن في مكة ، حين يجيء حمزة « لاستيفاء الثأر لدماء الموحدين » (١٩) . في هذا اليوم تنتهي مهمة النواميس الشريرة وهو آخر يوم للشرائع والانبياء والاسس ، فيه يعلن التوحيد جهارا على جميع البشر ، ويبدأ دور « كشف » جديد تكون الغلبة فيه للموحدين ، فيخضعون كل مخالف مشرك . ويبقى الحكم فيهم الى الابد .

---

(١٨) تفس[illegible] الحقائق اللا[illegible] الس[illegible] ، ص ٧٨١ — ٧٨٦ ، ومخطوط رقم ١٤٣٩ في المكتبة الوطنية بباريس ، ورقة ٥٥ ب — ٥٩ ب .

(١٩) رسالة التعقّب والافتقاد ٤٢٨/٥٥ .

الفصل التاسع

دعائم دين التوحيد

اولاً ـــ سدق اللسان

سبق الحديث عن غايتين متكاملتين للتوحيد : غاية سلبية قوامها التبرؤ من جميع الاديان والمذاهب ودعائم الاسلام السبع . واليك الان توضيحا حول الغاية الايجابية التي تكمن في « الخصال التوحيدية السبع » .

اولى هذه الخصال التي ذكرها قائم الزمان في « رسالة بدء التوحيد لدعوة الحق » (٦٦/٧) ، هي السدق بل « السدق هو الايمان والتوحيد بكماله والكذب هو الشرك والكفر والضلالة » [١] . والسدق من الايمان كالرأس من الجسد [٢] . ولن يكون في النهاية خلاص الا للموحدين الذين سدقوا القول : « ولا رفعة في المعاد الا لمن سدق لسانه » [٣] . اما الكذب « فهو دليل على شخص ابليس اللعين » [٤] . والكذب لا يكون كذبا الا على اخوان التوحيد ، اما مع « الاضداد » فلا يسمى كذلك . « فالكذب

---

(١) رسائل ٧٦/٩ ، ٣١٢/٤١ ، ٦٩٩/٧٧ .

(٢) رسالة ١٦٥/١٥ .

(٣) رسالة ٧٧٩/٩٣ .

(٤) رسالة ٣١٢/٤١ .

الكلام « ان كل من ذكر عن نفسه انه موحّد وهو متمسك بشيء من الشرع ، فقد ابطل وكذب في قوله ، بل هو ملحد كافر »[١٤] وفي الحقيقة ان « العدم » هو اله اليهود والمسلمين الساكن فوق السماوات ، واصحاب البهتان هم اليهود والنصارى والمسلمون « فريق الضلال » .

رابعاً — البراءة من الابالسة والطغيان

رابعة الخصال : « البراءة من الابالسة والطغيان » . والابالسة والطغيان تجمع كل فريق الضلال . اولهم ابليس اللعين ثم سائر الابالسة « النطقاء والاسس والأئمة والحجج اصحاب الشرائع الظاهرة والباطنة » . اما التبرّي فهو « البراءة من شرائعهم الدارسة وعقائدهم الفاسدة واديانهم المضلة ونياتهم الخبيثة واقوالهم الكاذبة وافعالهم القبيحة ... »[١٥] « وكل من ادّعى التوحيد وهو يقول بالظاهر والباطن كان كاذبا في قوله »[١٦] . ومن تبرّى منهما نال حظوة عند رب العالمين .

خامساً — توحيد الحاكم جلّ ذكره

التوحيد يعني ان « الباري سبحانه منفرد عن جميع مخلوقاته بصفات الربوبية التي لا نهاية لها ... انفرد بالوجود عن العدم ... وبالتنزيه عن التحديد ... وبالقدرة عن العجز ... »[١٧] والتوحيد هبة من الله

---

(١٤) رسالة الشمعة ٣٨/٢٨٠ .

(١٥) كتاب النقط والدوائر ، ص ٥٩

(١٦) رسالة الشمعة ٢٨/٢٨٠ .

(١٧) كتاب النقط والدوائر ، ص ٦٠ — ٦١ .

للموحدين ، كشفه الله على يد قائم الزمان حمزه وحدوده الاربعة . ولئن كان كل دين يدعو الى التوحيد فان الدرزية وحدها عرفته واقتنت منه الحكمة ، وبقي غيرها في ضلال . والدروز هم « الموحِّدون » لانهم وحدهم « عرفوا » الله ظاهراً مكشوفاً . ومَن لم يرَ الله بهذه الحالة لا يكون « موحِّداً » ؛ بل الهه هو « العدم » .

سادساً وسابعاً ـــ الرضى والتسليم

الرضى والتسليم هما الفرضان الاخيران في دين التوحيد ، وهما نتيجة الخصال السابقة . لان من سدق بلسانه وحفظ اخوانه وترك العدم وآمن بالتوحيد لا بد من أن يرضى بفعل الباري ويسلم أمره اليه سراً وجهرا . وقد يتميز الدروز عن سائر البشر بهاتين الفضيلتين : « معشر الاخوان ... ليس بينكم وبين عالم الجهل فرق الا الرضى والتسليم . والرضى والتسليم هما نهاية العلم والتعليم » [١٨] . وكلاهما يقومان على « ترك الاعتراض فيما يفعله مولانا جل ذكره . (بمعنى انه) لو طلب من احدكم ان يقتل ولده لوجب عليه ذلك بلا اكراه قلب ، لان من فعل شيئا وهو غير راض به ، لم يُثَبْ عليه » [١٩] .

---

(١٨) رسالة الغيبة ٢٥٤/٣٥ .

(١٩) رسالة البلاغ والنهاية ٨٠/٩ .



الفصل العاشر

المجتمع الدرزي

اولاً — طبقتا المجتمع : عقّال وجهّال

ينقسم المجتمع الدرزي من الناحية الدينية الى قسمين : عقّال وجهّال ، ومن الناحية الاجتماعية الى امراء وفلاحين ، ومن الناحية السياسية الى جنبلاطيين ويزبكيين ، ومن قبل الى قيسيين ويمنيين . وما يعنينا الآن قسما المجتمع الديني : العقال والجهال .

اما العقال فهم القيّمون على دعوة الحق ، والمحافظون على سريتها وسرية كتبها ، والناسخون لرسائلها والشارحون عقيدتها ، والمتمسكون بقواعد الأخلاق والسلوك النبيلة . هؤلاء يمسكون عن التدخين ، وشرب الخمرة ، واحتساء القهوة ، ويمارسون الزهد والتقشف في المأكل والملبس والمسكن ، ويرفضون اخذ قرش واحد من الحكام والموظفين لظنهم بسوء مصدره ، ويتجنبون الرذائل والشهوات ، ويمتنعون عن الحرام من الطعام ، ويسدقون في القول — طبعا مع الاخوان — ولا يختلي احدهم بامرأة ، ولا يرد تحيتها اذا حيّته ، الا اذا وجد بينهما ثالث [1] .

---

(١) اقرأ « ميثاق النساء » رقم ٨ ص ٧١ .

يتميزون بزيهم عن سائر المؤمنين . « فالعمامة المدورة لا يلبسها الا المؤمنون الذين حفظوا جميع كتب « الحكمة » . والاجاويد ، الذين لهم لحى طويلة ، يرتدون العباءات القصيرة ذات الكم النصفي والمخطط باللون الاحمر او اللون الاسود . اما الاجاويد ، الذين ليس لهم لحى ، فيرتدون العباءات الحمراء المخططة بخطوط بيضاء صغيرة »[٢] .

يرئس الدروز اليوم شيخ عقل واحد ، يسمى بشيخ العقل ، او شيخ المشايخ ، فيما كان لهم في الماضي ، شيخان او ثلاثة ، تبعا لاختلافاتهم السياسية .

ينقسم العقال الى طبقتين : الطبقة الدنيا وهم الذين يحق لهم معرفة رسائل « القطن » والطبقة العليا وهم الذين يعرفون رموز الحكمة والمواقف العدائية من الاسلام وسائر الاديان ... وهناك قسم من العقّال يسمّون « الختامية » ، اي الذين حفظوا الرسائل في ذهنهم . هؤلاء يعيشون منعزلين عن المجتمع الدرزي العادي ، وهم يلجأون عادة الى خلوات « البياضة » ؛ ذاك لان المجتمع البسيط لم يعد بامكانه تحمّل ما حصلوا عليه من الحكمة[٣] .

اما الجهّال فهم عامة الناس الذين لا يحق لهم سماع شيء من الحكمة او من شروحاتها . بل يحقّ لهم ان يسمعوا « السجلات » الاربعة الاولى من

---

(٢) حافظ ابو مصلح ، واقع الدروز ... ، ص ٧٠ .

(٣) هناك مشايخ من الختامية ظلّوا في قراهم ولم يلتحقوا بمشايخ البيّاضة ، حفاظاً على مكانة محيطهم . ومن اشهرهم في ايامنا أبو حسيب من آل الصايغ من معصريتي الذي انتقل منذ مدة الى قيص جديد .

مجموعة الرسائل. وهذه، كما نعلم ، لا تمت الى العقيدة الدرزية بصلة . هؤلاء يحضرون المجالس الدرزية التي تقام مساء كل خميس لسماع الوعظ والارشاد العام ، واخذ بعض تعليمات خاصة ، بحسب المناسبات السياسية والمواقف الموحّدة التي يتخذها الدروز حيالها .

لا يتميز الجهال في الدين او في الزي بشيء ، فهم يجهلون عن الدين كل شيء . ولكنهم ، قبل بلوغ سن الاربعين بسنتين ، يتدربون على استلام الدين ، بممارسة الزهد والاعمال الصالحة ... فان كان منهم من هو جدير بقبول الدين ، سلّموه اياه ، ولكن على درجات . وينصحون بلبس السراويل وارتداء الوان غير زاهية .

ويكون التدرج بقدر حفظهم الحكمة ومقدرتهم على صونها . ويتم هذا التدرج في يوم عيدهم ، وهو اليوم الموافق لعيد الاضحى عند المسلمين . في هذا اليوم — وليس له من الاضحى شيء — يجتمع الدروز في « المجالس » ويحصل تسليم الدين . انه يوم خروج قائم الزمان بالسيف واهراقه دماء الكفرة والمشركين استيفاء لدماء الموحدين واخذا بثأرهم (٤) .

والنساء ايضا ، كالرجال ، عاقلات وجاهلات ، وشروط الانتقال هي نفسها كما عند الرجال .

ثانيا — المرأة والزواج

في مجموعة الحكمة ، عدد من الرسائل تفيدنا عن المرأة . فالمرأة ، عند

---

(٤) انظر مخطوط ٦١٨٢ ، ورقة ٣٨ أ في المكتبة الوطنية بباريس .

الدروز ، هي « عرض الرجل » وصيانتها اعزّ من صيانة النفس ، يستميتون في الدفاع عنها ، ويفاخرون بها الشعوب [٥] .

يشدّد الدروز جدا في الحفاظ على المرأة وتصرفاتها واخلاقها ... ويغارون عليها من ان تكون عرضة لكل ناظر ... فيأمرونها بالحجاب والتستر والتعفّف وملازمة دارها ... ويبالغون في الحصانة عليها « مبالغة اصبحت مضرب الامثال . فليس في الانام جماعة كالدروز ظلت الف سنة لم يصبها الخلاط » [٦] .

« ولا يعرف المجتمع الدرزي شيئا من الزنا او الخيانة الزوجية ، او ما شابه ذلك من المفاسد الاجتماعية... ولا يزال الحجاب الى الآن مضروبا على نساء الدروز ، بل حجاب المرأة من صميم عقيدة الدروز » [٧] . « وعفّة المرأة شرط لسلامة الزواج ، وبتوليّة الفتاة شرط لعقده . ويفسخ اذا هي لم توافق عليه » [٨] .

« لا يسمح للدرزي بان يتزوج اكثر من امرأة واحدة مهما كانت ظروفه الشخصية والدينية . وانه من المحرّم والممنوع على المرأة الدرزية المطلقة ان ترى زوجها او ان تحضر في مجلس يضمّه » [٩] . والزواج محصور بين الموحدين والموحدات عملاً بشريعة قائم الزمان . وينهي الدروز عن زواج « المتعة » المعروف عند الشيعة ، اي الاستمتاع بالمرأة لوقت محدّد لقاء

---

(٥) عبدالله النجار ، مذهب الموحدين الدروز ، ص ٢١٩ .

(٦) عبدالله النجار ، مذهب الموحدين الدروز ، ص ٢٢٣ .

(٧) الدكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ، ص ٢٩ .

(٨) عبدالله النجار ، المرجع نفسه ، ص ٢٢٢ .

(٩) حافظ ابو مصلح ، واقع الدروز ص ٧٠ .

دراهم معلومة . اما زواج درزيٍ من غير درزية (يهودية ام نصرانية — لا مسلمة) فغير جائز . واولادهما دروز . وزواج درزية من غير درزي (غير مسلم) فهو باطل . بل تحرم من الارث . والاولاد غير دروز . والشواذ اليوم حاصل . من ينهي نفسه عن الزواج وعن الشهوات فهو افضل من الملائكة [١٠] . وقد مارس هذه الفضيلة بعض مشايخ العقل ، فانقطعوا ، في تعقلهم ، عن النساء والطيّبات .

اما مساواة المرأة بالرجل فهو امر طبيعي في الدين الدرزي ... حتى ان المرأة المطلقة تحتفظ برتبتها الدينية التي كانت لها مع زوجها الاول [١١] . بيد ان هذه المساواة لم تكن في جميع الامور . فالمرأة لم تحظ بنفس الحرية ، بل هي مقيدة بلبسها وخدرها ونظرتها الى الحياة . واغرب ما في الدرزية كبت عاطفة المرأة كبتا مَرَضيا رهيبا . وقد عبّرت عن ذلك « الآنسة عفيفة صعب » الدرزية احسن تعبير ، فقالت : « أخَذَتِ الرجلَ عنجهيةُ الحفاظ على العرض فاستنكر العاطفة ، وشدّد من محاصرتها والحجر عليها ، حتى تجاوز مسلك المرأة في ذلك حدّ الاحتشام والتحفظ الى الرهبة والخوف ... » [١٢] . وتعبّر الادبية الدرزية « الآنسة نور سلمان » عن مرارة في نفسها حيال الوضع التعيس للمرأة الدرزية . فهي تخاطب أمّها بألم وحزن مريرين ، وكأنها تخاطب جميع الامهات ، فتقول : « صوتك يا امي يعميني : « ابنتي دعينا والتهوّر ... ابنتي التعقل ... التعقل ... احذري خداع الزمان ... احذري المحبين ... احذري احذري احذري ... يا امي

(١٠) رسالة الرد على النصيري ١٦٦/١٥ .

(١١) رسالة ١٦٨/١٥ .

(١٢) عفيفة صعب ، المرأة الدرزية في كتاب « الواقع الدرزي » ، ص ١٢٦ .

اتركي يدي ... دعيني اطير ... لا تقولي انتظري ... الغد يناديني » (١٣)

ثالثاً ـــ اخلاق الموحدين وصفاتهم

يعتبر الدروز انفسهم افضل الامم وخير عباد الله . « فأنتم افضل الامم وخير من وطىء الارض بقدم ، لأنكم عبدتم الموجود ، وانعكفوا هم على عبادة العدم المفقود ... » (١٤) .

هكذا يرى الدروز انهم شعب الله المختار ، اجتباهم العلي الأعلى منذ البدء ، لأن « مَن وحّده في وقتنا هذا ، فقد وحّده في سائر الاعصار » (١٥) . ولا يستطيع احد ، مهما علا شأنه ، ان يختار لنفسه الدخول في الدرزية ، لان حكم الله مبرم ، قضى على الجميع بالبقاء حيث هم .

نظرا الى هذا الاختيار الالهي منذ البدء ، اضطرّ الدروز « الى ان يكونوا شديدي المحافظة على تقاليدهم القديمة ، ولم يختلطوا بغيرهم من الشعوب ... لذلك ظلت اخلاقهم وعاداتهم هي نفس الاخلاق والعادات التي ورثوها جيلا بعد جيل دون ان تتأثر بمؤثرات خارجية » (١٦) .

نتيجة ذلك ، تحصّن الدروز في جبالهم ، وتمسكوا بتقاليد مجتمعهم المتوارثة ، وانكمشوا عن سواهم : « ان حقيقة الدروز وواقعهم الصارخ لا

---

(١٣) نور سلمان ، آن لنا ان نعترف ، الواقع الدرزي ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(١٤) رسالة الاعذار والانذار ٣٤/٢٤٩ .

(١٥) من دون قائم الزمان ٦٧/٥٣٦ .

(١٦) الدكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ، ص ٢٨ .

نجدهما الا حيث كثرتهم المنكمشة في حيث تقطن النسور » [١٧]

هذا الانكماش ، فرض عليهم ، جملة مزايا :

اولها : التعفّف : « ان العفاف وقمع الشهوة امر عظيم ... فالله ، عز وجل ، ما خلق هذه الشهوة الا لاجل النسل لا غير. فالاولى والاليق والاجدر بالموحد انه لا يجامع زوجته الا للولد فقط ... والجماع محرّم ايضا في حال الرضاع وفي حال الحمل ... » [١٨] . وعلى الموحد « ان يكون غضيض الطرف ، خاشع اللحظ ، والا يصغي الى غناء امرأة ... لان الاصغاء الى ذلك يحرّك الشهوة ... » [١٩] . فالمذهب الدرزي اذن يفرض على اتباعه الامتناع عن التمتع بما اباحه القرآن الكريم للمؤمنين ، وما اجاز من ملذّات الدنيا الحسية . ويعتبرها مناقضة للفضيلة او للجودة التي ينميها التعفف ... [٢٠] .

وثانيها : الصبر والاحتمال : وهي فضيلة نشأت معهم في محنتهم واستمرت فيهم عبر تاريخهم المنكود . ويقدّم بهاء الدين المقتنى جملة نصائح يحثهم فيها على الصبر : « اثبتوا فان العاقبة لمن ثبت وصبر واغضى » [٢١] . « ومن صبر على برد القرِّ نال خضرة الربيع » [٢٢] وعيدهم الأكبر في ذكرى النبي أيوب مثال الصابرين .

---

(١٧) عفيفة صعب ، الدروز وحتمية التطور ، في « الواقع الدرزي » ، ص ٢٨ .

(١٨) مخطوط ١٤٣٨ في « الجوارح » ، ورقة ٨٦ ب — ٨٧ أ ، و ٨٩ ب — ٩٤ أ .

(١٩) المرجع نفسه ، ورقة ٢٣ أ و ب .

(٢٠) عبدالله النجار ، مذهب الموحدين الدروز ، ص ٢٢٨ .

(٢١) رسالة الوادي ٣٧٩/٥٢ .

(٢٢) مكاتبة رمز الى الشيخ أبي المعالي ٨١٦/١٠٥ .

وثالثها : التمّنع عن المال الحرام . وهو امر بالغ الاهمية في سعي الدرزي العاقل نحو الكمال . انه « من الحرام المحض اجرة الزنا والنياحة وغناء الامرأة ... وبيع الخمرة ... ومال السلطان وحاشيته ... من لم يسأل من اين اكتسبَ المال لم يسألِ الله من أين أدخله النار ... » [٢٣] ومن المحرمات ايضا اخذ الرّبا من بعضهم بعضا ، وان كان جائزا اخذه من الاضداد. يجوز للدرزي ، اذا ما كان عليه دَين لاحد الاضداد ان ينكره عليه . يقول بهاء الدين : « اذا كان للضد عنده (الموحد) دَين ، بغير وثيقة او وديعة بغير بلية ، وكان معسراً عن وفائه ... يجوز له الانكار وقلة السدق » [٢٤] . « اما اذا كان لاحدهم عند اخيه مال ، وعلمَ إعساره ، صبر عليه . وان سأله الزيادة دفعَ اليه » [٢٥] .

ورابعها : العصبية : قد يصعب الكلام على العصبية في ايامنا هذه ، لان كل طائفة من الطوائف تتبرأ منها وتلصقها بسواها . وهذا شأن الدروز ايضا . بيد انهم يقيمون الارض ويقعدونها اذا ما انتقص من حقهم . كما انهم يلومون انفسهم اذ لم يكونوا على مستوى تعصّبي موازٍ لسائر الطوائف . يقول عارف النكدي : « ليس من جماعة ضائعة فيه (المعترك الطائفي) ، غائبة عنه ، الا نحن بني معروف . ومردّ هذا الى عوامل ، اهمها في رأينا اربعة : التساهل المزري ، الضعف المخزي ، الوحدة الممزّقة ، القيادة المفرّقة » [٢٦] .

---

(٢٣) مخطوط ١٤٣٨ : « الجوارح السبع » ، ورقة ٢٩ أ — ٢٣ ب .

(٢٤) رسالة ٣١٤/٤١ .

(٢٥) رسالة ٣١٥/٤١ .

(٢٦) عارف النكدي في مقدمة كتاب « الواقع الدرزي » ، ص ٨ .

وفيما الجميع يشيد بمواقف السيد كمال جنبلاط التقدمية المنفتحة على الشرق والغرب والفلسطينيين والمسلمين ، ينسب حافظ ابو مصلح قوة جنبلاط الى جحافل الدروز الداعمة له ، اذ كان « يستطيع ان يجمع حوله في ساعات معدودة عدّة آلاف من الرجال من اجل القيام بحركة ثورية »[٢٧] .

وفيما شيخ العقل محمد ابو شقرا يدعو الى التسامح والمحبة والانفتاح على الجميع ، نراه يبرق الى رئيس الجمهورية اللبنانية قائلا : « الغبن والاجحَاف والحرمان ، مظالم لاحقة بطائفتنا الدرزية ... اذا حاق الدروز ضيم ، لن يثبتوا على استقرار . وهم حماة لهذا الوطن »[٢٨] ومرة اخرى هدّد بحمل السلاح ان لم تستجب مطالبه الطائفية : « لن نسكت على الضيم ، ولن نحجم عن الدعوة الى حمل سلاح الايمان بالحق ، لاخماد الباطل »[٢٩] .

خامسها : الشجاعة . لا تقرأ كتابا او مقالا في مناقب الدروز الا وتجد في رأسها الشجاعة . بها عرّفوا انفسهم وبها عَـرَفهم الناس . عرّفتنا رسائلُ الحكمة بحمزه قائم الزمان على انه صاحب سيف الانتقام ، وانه في آخر الزمان سيحمل سيفه لقطع رقاب الملوك والجبابرة الملحدين ، وانه اوصى « كلمته » ليوصي الموحدين بحمل السلاح واقلّه سكين . والدرزي اليوم ، كما كان من الف عام ، يد على المحراث ، واخرى على السلاح[٣٠] .

---

(٢٧) حافظ ابو مصلح ، واقع الدروز ... ، ص ١٦ .

(٢٨) برقية بتاريخ ١٩٦٣/٣/٢٦ .

(٢٩) برقية بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٥١ .

(٣٠) عفيفة صعب ، الدروز وحتمية التطور ، في الواقع الدرزي ، ص ١٩ .

هذه الشجاعة لم تكن يوما لاقتحام الصعاب ، والمغامرة بالمال والحياة لكسب عيش افضل ، اللّهم الا عند القليلين في ايامنا هذه . بل كانت شجاعة نادرة في الصبر والاحتمال ومداراة الاضداد ومصانعتهم ، والميل الى عقيدتهم ان قويت عليهم ، والميل عنها ان آتاهم الزمان . وحكمتهم في ذلك قولهم « ايّة امة تغلّبت عليكم اتبعوها » . ومع هذا ، فان افضل علامات الشجاعة عند الدرزي هي الغدر ، في هذا الدهر ، وفي الدهر الآتي ، الثأر لدماء الموحدين الذين قتلوا في اوائل الدعوة . كثيرا ما يتغنى الدروز بشجاعتهم نتيجة ايمانهم بالتقمص . ففي اعتقادهم ان الدرزي لا يهاب الموت ، لان هناك حياة ثانية تنتظره ، وهي قد تكون افضل من الاولى ، اذا ما كان صالحا . اما اذا ما مات في سبيل الحكمة والعقيدة التوحيدية ، فما لا شك فيه ، ان الحياة الثانية احسن من الاولى ...

ليست هذه المزايا التي ذكرنا ، هي وحدها البارزة في حياة الدروز . لكننا عرضناها دون سواها لخلاف فيها . فالدروز يجيدون المجاملة ، ويصوغون العبارات الانيقة ... ويرضون بالواقع ... لا يُغامرون ولا يقامرون . لا يجابهون ولا يواجهون خطراً قد يقضي عليهم . من حكمهم السائرة : الف مرّة جبان ولا مرّة الله يرحمه .

الفصل الحادي عشر

الاحوال الشخصية والمؤسسات الدرزيّة

اولاً — الاحوال الشخصية الدرزية

١ — تنظيم الاسرة

صدر عدد من القرارات والمراسيم تتعلق بالاحوال الشخصية لجميع الطوائف اللبنانية ومنها الطائفة الدرزية . اول قرار صدر عن المفوض السامي الفرنسي سنة ١٩٣٦ يتضمن اعترافا بالشخصية المعنوية للطائفة الدرزية وبحقها في انشاء مؤسسات تعليمية وخيرية . ثم صدر مرسوم اشتراعي سنة ١٩٤٢ عدّل بقانون سنة ١٩٤٦ . واخيرا صدر عن مجلس النواب اللبناني قانون الاحوال الشخصية للطائفة الدرزية بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٤٨ . بعد هذا جرى تعديلان بمرسوم الاول سنة ١٩٥٢ والثاني سنة ١٩٥٣ .

وتتضمن هذه المراسيم والقوانين كل ما له علاقة بالامور التالية : الخطبة — الزواج — المهر — النفقة — الولاية — الوصاية — الحجر — الوصية والارث — الاوقاف ... ثم قانون ١٧١ الاخير حيث يطبق القاضي الدرزي احكام الشرع الاسلامي حسب المذهب الحنفي ، في حال عدم ورود نص في القوانين الدرزية المذكورة .

ويجدر بنا التنويه بنقاط اربع يختلف فيها الشرع الدرزي عن الشرع الاسلامي الحنفي المتبع من قبل مسلمي لبنان :

١ — منع الدروز تعدّد الزوجات ،
٢ — منع الدروز اعادة المطلقة الى زوجها ،
٣ — يجيز الدروز الوصية لوارث ولغير وارث ،
٤ — يطبّق الدروز قاعدة التنزيل التي يحلّ بموجبها الاحفاد محل الاولاد في الارث [١] .

٢ — قانون تنظيم القضاء المذهبي

صدر هذا القانون في ٥ آذار ١٩٦٠ وعدّل بقانون ٤ كانون الأول سنة ١٩٦٧ . وهو ينصّ على تأليف محاكم بدائية ومحكمة استئنافية عليا ويحدّد عدد المحاكم البدائية ومراكزها ومناطق صلاحياتها وعدد قضاتها والمساعدين القضائيين والحجّاب ، ويجعل مركز المحكمة الاستئنافية العليا في بيروت وتشمل صلاحياتها جميع الاراضي اللبنانية ، كما ينص على انتداب قاض درزي من سلك القضاء العدلي للقيام بمهام التفتيش .

٣ — قانون انشاء المجلس المذهبي

قانون ١٣ تموز ١٩٦٢ : « يتولى شؤون الطائفة الزمنية والمالية ، وتمثيلها في الشؤون العائدة لكيانها الاجتماعي والسهر على رفع مستواها ، والمحافظة على حقوقها » (مادة ١) .

---

(١) راجع امين طليع ، اصل الموحدين الدروز ، ص ١٤١ — ١٨٠ ، ثم محاضرة حليم تقي الدين في « نظرة الاسلام الى الاسرة في مجتمع متطور » .

تتناول صلاحياته : الاشراف على الاوقاف الدرزية ، باستثناء اوقاف خلوات البياضة التي تبقى تحت اشراف شيوخها ، وعلى المؤسسات وجمعيات الطائفة ... وتعيين مدير عام للاوقاف ، والاهتمام بالمدارس الطائفية ، والاطلاع والمصادقة على حسابات وموازنة المؤسسات والجمعيات الدرزية ... الخ (المواد ٣ — ٥) .

ويتألف المجلس من اعضاء دائمين واعضاء منتخبين . الدائمون : هيئة مشيخة العقل ، الوزراء والنواب الحاليون والسابقون . المنتخبون : محاميان ، مهندسان ، ثلاثة اطباء ، ثلاثة جامعيين ، واعضاء ممثلون للمناطق : ٦ عن الشوف ، ٦ عن عاليه ، ٣ عن بعبدا ، ١ عن حاصبيا ، ١ عن راشيا ، ١ عن بيروت والمتن الشمالي وباقي المناطق (مادة ٦) .

مدة ولاية المجلس ٤ سنوات (مادة ٧) . من شروط صحة المنتخب في المجلس « ان لا يكون موظفا في الدولة » (مادة ٣) .

مدة ولاية المجلس ٤ سنوات (مادة ٧) . من شروط صحة المنتخب في المجلس « ان لا يكون موظفا في الدولة » (مادة ٣) .

٤ — قانون انتخاب شيخ عقل الطائفة الدرزية

قانون ١٣ تموز ١٩٦٢ ينص على « استقلال الطائفة الدرزية بشؤونها الدينية ، يكون لها شيخا عقل يتمتعان بذات الحرمة التي يتمتع بها سائر الرؤساء الروحيين . ولا يجوز الجمع بين منصب شيخ العقل وبين اية وظيفة او مهنة حرة او حرفة . يتقاضى تعويض تمثيل شهري قدره ٦٠٠ ل.ل . (؟) ينتخب شيخ العقل مدى الحياة ، ويتولى المشيخة من اتفقت على

اختياره كلمة الطائفة ويجب ان يكون من ابنائها اللبنانيين الاخيار. ويتم الانتخاب من قبل جميع الذكور من الدروز الذين لهم حق الانتخاب وفقا لقانون انتخاب اعضاء المجلس النيابي.

من خلال عرضنا للقوانين الدينية والاجتماعية، نتبين، مرة اخرى، استقلالية الطائفة الدرزية عن الاسلام. في هذه القوانين ما يجعل الدروز الموحدين، منذ عهد الانتداب، جماعة مستقلة منظمة حرة في مقاضاة امورها من كل قيد.

ثانيا ــ الخلوات والمقامات الدرزية

لا مساجد ولا جوامع في الدرزية. ولئن كان منها شيء فهو « جوامع اثرية »[٢]. ويصرّح بذلك كمال جنبلاط بقوله: « وليس لدينا كنيسة ولا مسجد بالمعنى المعروف للكلمة »[٣].

اما امكنة التعبّد في الدرزية فهي على ثلاثة انواع: المجلس، والخلوة، والمقام. اما المجلس فهو مكان لاجتماع العموم يوجد منه، على الاقل، واحد في كل قرية او مجموعة درزية. واما الخلوة فهي مكان خاص باحد المتدينين، يختلي فيها الموحد العاقل التقي المتعبد لربه. واما المقام فهو مزار مخصّص لاحد حدود الدعوة في ظهوراتهم المتعددة عبر التاريخ، او لاحد الانبياء الصالحين. يأتيه الدروز، في مناسبات سنوية معينة للتبرك من ترابه، والصلاة على روح صاحبه.

---

(٢) انظر امين طليع، اصل الموحدين الدروز، ص ١٣٩.

(٣) كمال جنبلاط، « هذه وصيتي »، ص ٥٣.

اشهر الخلوات الدرزية :

١ — خلوات البياضة : تقع على تلة مرتفعة تشرف على حاصبيا وفلسطين والبحر وسهل مرجعيون وقسم كبير من البقاع . تعدّ خلوات البياضة المركز الديني المشترك لدروز العالم قاطبة . انها فاتيكان الدروز ومكّتهم . فيها يقوم المشايخ بنسخ كتب الحكمة وشروحاتها . عند فقدان كتاب من مجلس ما او خلوة ، يرسل عوضه كتاب آخر من نسخ البياضة . ويمارس المشايخ في هذه الخلوات العبادة والزهد والتأمل ، ويحفظون الكتب غيبا ويتممون مختلف الفرائض التوحيدية . يعيش المشايخ من محصول الاراضي الزراعية العائدة لوقف الخلوة . ورغم انقطاعهم عن الناس ، فانهم يقومون بين الحين والآخر بزيارات اجتماعية ، كما ان باستطاعتهم التوفيق بين المتخاصمين من الدروز ، « وان يحسروا نار الحقد والتعصب البغيض ، وان يغرسوا بذور الوفاق الاجتماعي ، ويقوّوا روابط المحبة » (٤) .

٢ — خلوة القطالب :

خلوة قديمة ، ترجع الى ايام الامير السيد في القرن الخامس عشر . تقع على تلة صغيرة ، مشرفة على عين قنية في الشوف . رشّت جدرانها كلها باللون الابيض . فيها يقرأ المتعبد الحكمة ، ويطلع على كل التفسيرات الدينية الضرورية لحياته الروحية . « والوافدون اليها هم في العادة اناس بسطاء سليمو الطويّة ويطمحون الى القداسة » (٥) .

---

(٤) راجع : حافظ ابو مصلح ، واقع الدروز ... ، ض ٢٣ — ٢٤ .
(٥) كمال جنبلاط ، هذه وصيتي ، ص ٥٣ .

٣ — خلوة عين الشاوى :

تقع في عبيه على مقربة من الكلية الداودية . بناء قديم شبه مهمل الآن ربما لوجود مقام الامير السيد بالقرب منه والذي يستقطب معظم الوافدين .

اشهر المقامات :

١ — مقام شمليخ : يدعى ايضا مقام سيدنا لوقا — الانجيلي — الذي مثّل في دوره بهاء الدين المقتنى . بني تخليدا لذكرى اقامة بهاء الدين ليلة واحدة ، وهو في طريقه الى دمشق . يقع بالقرب من بلدة شارون ويتألف من سبع عشرة غرفة وساحة فسيحة في وسطها ثلاث شجرات وارفة الظل .

٢ — مقام النبي ايوب : هو نفسه ايوب التوراة . يقع المقام فوق بلدة نيحا الشوف ، في مكان غني بالمناظر الطبيعية الجميلة على ارتفاع ١٤٠٠ مترا . يتألف من ساحة رئيسة محاطة بعشرين غرفة حجرية صغيرة . وفي اعلاها غرفة المقام ، تدخلها من باب صغير بعد ان تخلع حذاءك من رجليك . يزوره الدروز كل نهار جمعة . اما اجلال هذا المقام وتكريمه في صيف كل عام فيعود الى ما يرمز اليه النبي ايوب من « الصبر والاحتمال » فضيلة الدروز العظمى .

٣ — مقام الامير السيد جمال الدين التنوخي : يقع الى الجنوب من بلدة عبيه . فيه رفات صاحبه وذكراه الطيب . يؤمّه الزوار من اصقاع البلاد ملتمسين بركاته طالبين من رضاه « الصبر والاحتمال » . يغطّي ارض المقام سجّاد مزركش وتكثر في زواياه الهدايا على مختلف انواعها من شموع وساعات واعلام ملوّنة ...

٤ — مقام المسيح (في سوريا) : يقع في جبل حوران . يقال ان

المسيح التجأ مرة الى هذه القمة حيث عقد حلقة سرّية مع تلاميذه . والمسيح هو تجسّد العقل وهو قائم الزمان حمزه . يتألف هذا المقام من ست غرف واسطبل كبير للحيوانات .

٥ — مقام شعيب (في فلسطين) : وشعيب هو من « مدين » انكره شعبه وجحدوا نبوّته فهاجر من بلدته الى فلسطين حيث مات في حطين عند سفح الجبل في اعلى طبريّة . يحتفل بذكراه في ٢٥ نيسان من كل عام ، وتقام فيه الاحتفالات الدينية التي تنقل الى العالم بواسطة الراديو والتلفزيون . وشعيب هو حمزة في عهد موسى ، « وهو الذي اصطنع موسى وأفضى بالحقّ اليه ، وهو مرسله . (اما موسى) فقد خالفه ونافق عليه » (٦) .

ثالثاً — مشيخة العقل

« مشيخة العقل » هي المركز الذي يستعيض به الدروز ، اليوم ، عن مقام « الامامة » . « ان هذه الزعامة الروحية الاصيلة — على حد قول كمال جنبلاط — هي اشتقاق معنوي وامتداد تاريخي لفكرة الامامة ... وهي نوعان : ولاية تنظيم ورعاية للمصالح الشرعية والروحية الظاهرة للجماعة ، وولاية استرشاد بالمثل الافضل واهتداء بالولاء الارفع ... والاقرب الى تمثيل فكرة الامامة هو قيام الولايتين ووجودهما وتوحدهما في الشخص ذاته » (٧) .

---

(٦) رسالة التبيين والاستدراك ٦١٣/٧١ .

(٧) كمال جنبلاط في مقدمة كتاب « اضواء على مسلك التوحيد » ، ص ١٩ . وكان يظن نفسه كذلك .

كان مقر شيخ العقل محصورا في لبنان ، وصلاحياته تشمل جميع الدروز حيثما وجدوا . لقّب شيخ العقل ، في الماضي ، بعدة اسماء . فكان يدعى بشيخ العصر ، وشيخ العقال ، وشيخ المشايخ ... يعاونه عدد من المشايخ الذين سمّوا هم ايضا بشيوخ العقل . وكان عددهم في الغالب اربعة ليتم بهم عدد الحدود الخمسة . لقد تعوّد الدروز ان ينظروا ، منذ القدم ، الى مقام المشيخة نظرة احترام وتكريم . يرون في احترامه احترام ذواتهم ويلحظون فيه الرمز القائم لعظمة الامامة وهيبتها (٨) .

كان الشيخ منذ توليه ينقطع عن اي عمل دنيوي ويعيش من الهدايا التي كانت تأتيه من مختلف النواحي . وكانت حياته بسيطة منظمة واعماله روحية ... وكان مشايخ العقل يعيشون مما يأتيهم من رزق يوصى لهم به .

استمر شيخ العقل واحدا لكل الدروز حتى الربع الاول من القرن التاسع عشر ، بسبب خلاف نشب بين البشيرين : الامير بشير الشهابي الثاني والشيخ بشير جنبلاط . وانقسمت مشيخة العقل بين الحزبين الدرزيين الكبيرين فكان شيخ عقل لليزبكيين وآخر للجنبلاطيين ...

وبعد الحرب العالمية الاولى ، عند تقسيم الدول العربية ، انقسمت ايضا المشيخة شتاتا : فكان لسوريا ثلاثة مشايخ ، وشيخ لفلسطين ، وكان عددهم في لبنان يتراوح بين شيخين وثلاثة . اما اليوم فانحصرت المشيخة في واحد .

---

(٨) عارف ابو شقرا ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ، مطبعة الاتحاد ، بيروت ، ص ١٨٨ .

« وكانت عهود لم يصل الينا اي خبر عن اي شيخ في اثنائها وقد يكون سبب ذلك شدة القهر على الدروز ... »[٩] هذا القهر توالى عليهم منذ غيبة الشيخ الاول بهاء الدين المقتنى ، مرورا بالفاطميين والصليبيين وصلاح الدين والمماليك حتى الاحتلال العثماني ... طوال هذه الحقبة ، لفّ الغموض تاريخ مشيخة العقل .

ومع هذا لمعت اسماء بعض المشايخ ، في مدة القهر هذه ، نذكر منهم :

١ ـــ الامير عيسى التنوخي : هو الجدّ الخامس للامير عيسى المعاصر للامير السيد . عرف عنه جمع كتب الحكمة في ستة اجزاء . في الجزئين الاول والثاني جمع رسائل حمزه بن علي واسمعيل التميمي ، وفي الاربعة الباقية رسائل بهاء الدين المقتنى . وعدد رسائلها جميعها ١٠٧ رسائل لا ١١١ كما هي عليه اليوم ... « لذلك يكون له فضل كبير على كل موحّد »[١٠] .

٢ ـــ الامير جمال الدين عبدالله التنوخي المعروف بالامير السيد (١٤١٧ ـــ ١٤٧٩ م) « لعلّه اكبر شخصية علمية بين الدروز منذ بهاء الدين المقتنى »[١١] . وقد لا يماثله احد بين الدروز بسعة اطلاعه ، وعمق سره ، ووفرة شروحاته للحكمة ، وشمول معرفته ، وقداسة سيرته ، وتجلّده على النكبات ، واستئناسه بالقرآن والاسلام ... ومميزاته الدرزية العميقة

(٩) المرجع نفسه ، ص ١٨٨ .
(١٠) توفيق سلمان ، اضواء على تاريخ مذهب التوحيد ، ص ٢١٩ .
(١١) عبد الرحمن بدوى ، مذاهب الاسلاميين : الدروز ، ص ٦٤٤ .

الاغوار والاسرار .

ولد في عبيه، رحل الى دمشق في طلب العلم، رزق ثلاثة اولاد وبنات ، توفّوا جميعا في حياته ، وكان آخرهم عبد الخالق الذي توفّي برفسة بغلة ليلة الاحتفال بعرسه ... فتجلّد الأمير وتصبّر واحتمل . وأكمل المحتفلون أفراحهم بعرس الأمير المغدور برفسة . يصف لنا ابن سباط زهد الامير في اواخر حياته فيقول : « كان يسهر الليالي في طاعة ربّه وينام ثلثه . وكان يجلس اكثر لياليه لا يشتغل بامور دنيوية . ولا حكايات في غير الحكمة ... » (١٢) عرف عنه انه « امر بعمارة المساجد في القرى وتجديد الجوامع وانشاء الاوقاف ... واقام الخطب ايام الجمعات في كل قرية ... ثم شدّد على القراءة الصحيحة في القرآن الكريم ... » (١٣) .

بيد انه ، اذا علمنا ان الدروز ، حتى يومنا هذا ، يعدّون الامير السيد قطبا من اقطاب التوحيد ، وان قبره في عبيه ، لا يزال محجة يقصدها الدروز للزيارة والتبرك ، وان شروحاته لرسائل الحكمة تنال عناية فائقة لدى شيوخ العقل حتى الان ، وان هذه الشروحات نفسها سرّية كسرّية الحكمة نفسها ... فهذا يعني ان في مواقف الامير السيد ازدواجية : فهو مسلم في الظاهر والعلن ، وهو درزي في الباطن والخفاء ... وهذه ، لعمري ، هي « التقية » . فالأمير السيد نفسه ارسل الى مصر مبعوثا ليأتيه بسجلات حاكمية ليضعها في مقدمة الرسائل الـ ١٠٧ وذلك لاجل التمويه والتضليل . وجميع كتبه « محظور على غير العاقل » (١٤) .

---

(١٢) عجاج نويهض ، التنوخي الامير جمال الدين ...، ص ١١٣ — ١١٤ .

(١٣) عجاج نويهض ، المرجع المذكور ص ١١٤ .

(١٤) سامي ابو شقرا ، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ ، ص ٢١٥ .

٣ — الشيخ زين الدين عبد الغفّار تقي الدين (١٥٠٥ — ١٥٥٧ م). ولد في كفر متى. تأتي منزلته في تفسير رسائل الحكمة بعد الامير السيد. من مؤلفاته وهي ايضا سرّية: قاموس الحكمة — النقط والدوائر — مختصر البيان في مجرى الزمان...

٤ — الشيخ محمد ابو هلال: من قرية الشعيرة من اعمال وادي التيم. رعى الماعز ثم احترف الزراعة. وكان الى جانب ذلك يتعلم حتى اشتهر بعلمه وفضله. عاصر الامير فخر الدين المعني الكبير، وتوفي سنة ١٦٤٠ م في قرية عين عطاء قضاء راشيا. وله عدد من القصائد تنشد في المعابد. اشتهر الشيخ محمد بالورع والزهد واعتزال الناس. واتخذ الخشن من اللباس والجاف من الطعام وتورّع عن كثير من الملذات البدنية.

٥ — الشيخ ابو زين الدين يوسف ابو شقرا: عاصر الامير يوسف الشهابي الذي تولى حكم لبنان من ١٧٦٢ حتى سنة ١٧٧٠ م. وجرت له مع الامير حادثة شهيرة وهي ان الامير احدث ضريبة على الشاشات (والعمائم من الشاشات) فاعترض المشايخ وتوجه الشيخ ابو زين الدين للاعتراض لدى الامير، فلم يأبه الامير لطلبه. فغضب الشيخ ودعا الدروز الى القتال وسار امام المقاتلين ناحية دير القمر يردد صلوات الحرب... غير ان آل نكد سعوا بالصلح وعاد الامير عن قراره... الا انه حقد على الشيخ... فدعاه يوما الى الطعام ودس له السم فمات... لكن الدروز ثأروا فيما بعد لشيخهم اذ وشوا به الى حاكم عكا الذي اماته شنقا.

---

(١٥) توفيق سليمان، المرجع المذكور، ص ١٥٢.

٨ — الشيخ علي جنبلاط جدّ الشيخ بشير (+ ١٧٧٨ م) . عاصر الامير حيدر الشهابي والامير ملحم ومات في نهاية عهد الامير يوسف الشهابي .

ولما انتقلت الامارة من المعنيين الى الشهابيين عمد الامير ملحم الى قسمة الدروز جنبلاطيين ويزبكيين ، فانقسمت لذلك مشيخة العقل بين الشيخ علي جنبلاط والشيخ عبد السلام يزبك عماد .

واستمرت القسمة الى مشيختين الى حين وفاة الشيخ اليزبكي رشيد حماده ، فاستقلّ الشيخ محمد ابو شقرا من عماطور وحده بالمشيخة الدرزية في لبنان . وللشيخ ابو شقرا ، مع زميله في اسرائيل ، أمين طريف ، أعمالٌ رهيبة ، واتفاقات سرّية جليلة في رفع شأن الدروز ، في كل من اسرائيل ولبنان وسوريا . ولكليهما معاً فرقة عسكرية ضاربة مؤلفة من شبان دروز من البلدان المذكورة . سمّيت بفرقة « ابو ابراهيم » ، نسبة الى النفس — اسمعيل التميمي ابو ابراهيم ، صهر حمزة ، له فيهم الأمر والنهي .

مواضيع البحث



